

# شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ  
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّا زَيْتُ هَذِهِ الطَّبْعَةِ بِالدَّقِيقَةِ وَالنَّبْطِ وَالْإِسْتِيعَابِ . بَحْثٌ تَلَوَقْتُ  
فِي هَذَا الشَّرْحِ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحْتُ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا  
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلْجَمْعِ الْأَوَّلِ

الناشر دار الكتاب العربي  
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

## مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أخرجهُ بعد شرح ديوان حسان  
الذي أخرجته في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

---

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي  
الكندى الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب  
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون  
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد  
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه  
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا  
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا  
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمَحِيَّا

قسم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية  
السيارة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب  
الأخشيدي — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبس طويلا ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم  
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —  
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في  
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح  
كان معه ، فشجّه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —  
وذلك أن المتنبي ربُّ المعاني الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان  
وما دام هناك ذهنٌ يلف ، وذوقٌ يستدق ، وملكةٌ بيانية ، وبصرٌ  
بمذاهب الشعر : أمكن إدراك ما يترامى إليه مثل المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدي ، وكان  
يقف بين يدي كافور ، وفي رجليه خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب  
بحاجبين من عماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاء وفارقه  
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى ،  
فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغالي في شعره وسموه  
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم  
أما يدعى المملوك مع كافور ؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق  
يغشاه في علته ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا  
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشب العلة لي ، ولا تكدر الصحة علي - فعلت  
إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه  
الديلمي ، فأجزل جائزته . ( وكذلك مدح ابن العميد ) ولما رجع من عند عضد الدولة  
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلي  
الأسدي في عنة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل  
المتنبي وابنه محمد وغلّاهم مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،  
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك  
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان  
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسانِ  
مَا رَأَى النَّاسَ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِيَكْرِ الزَّمانِ  
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءٍ ذِي سُلْطانِ  
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِ

دا ملخصا من ابن خلكان ،



الجهذ اللذّ ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه نلاطر ، ولا إعناء لرؤية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

---

### شيء من أخلاقه وشيأله

حدث على بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهى أنه ما قرأ القرآن - فإنى أظن الراوى يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي فى فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن فرج : كان المتنبي رجلاً داهية من اللسان ، شجاعاً ، حافظاً للكذاب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بنخله وشهره على المال . .

أقول : وهذا بنخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء . وقد سئل فى ذلك فقال : إن للبنخل سبباً ، وذلك أنى أذكر - وقد وردت فى صحابى من الكوفة إلى بغداد - فاتخذت خمسة دراهم فى جانب منديل ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القاككة ، فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ . . فقال - بغير اكترأث - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فهاستكت معه وقلت : أياها الرجل : دع ما يعيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جبهنى به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكورة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، وتقده وتعصب له وعليه ، نَيْفٌ وخمسون أديباً ، بَيَّنَّ أنَّ للتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرِيُّ والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فَلأنَّه لَمْ يُطَبِّعْ إلا فى أورْبَةِ وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدي الناطقين بالضاد لِنَدَرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثَمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرِيُّ كلاهما موضوعٌ ذلك الوَضْعَ الخلق البالى العقيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَّالِيكَ - وَضَعٌ لا يَتَّفِقُ ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يتنقى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى أَلَمَ بالواحدى والعُكْبَرِيُّ معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسَفَ كل الأسف وتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَّاء

---

مسروراً بما فعل ؛ قتلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ! ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . - وكثيراً ما يصيب هذا الداء التوابغ والعبقريين - ولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . وكان لا يشرب الخمر . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقري عظيم ، والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيثِ العيَاء الذي أَلَمَّ - ولا يزال يُلِم - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربي ، فذهب بجمال التواليف وشوّه خلقها وصارَ بها إلى حيثُ تنبوغنها الأحداق ، وتجنّفى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدري : ما مصدر هذا الداء ، ولا مَنْ تقع عليه تبعَةُ هذا الجرم : هل هو الناسخ ؟ - بل الماسخ - [ ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة في سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين في تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقلَ الكُرّاسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل مانسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت مانسخ منه ضفثاً على إِبالةٍ . . . فما كان إلا أن انصرفَت نفسى عن المسألة برُميتها ] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ؟ !

ولقد لقيت الألاقى فى تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إنَّ الجهد الذى يُبذلُ فى سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصوّر مقدار ما يعرُّو الإنسان من المضض والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفتن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومنْ هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره فى ذلك قائماً . . .

أقول : إنَّ عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وَضْع لا يتفق وروح المعصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفواتٍ تلحق كلاً على حَدِّته ، وقصُورٍ أو تقصيرٍ أو إقصارٍ يُلِمُّ بِسَاحَتِهِ ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغنى به عن غيره فإنه لا يغنى كل الغناء ، وكذلك الواحدى .  
ويزيد الواحدى على العكبرى أنه لا يحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه  
لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لا يؤاىى الشادين . أما  
اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما  
الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء  
وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى  
طبّق المنصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من  
ذلك - يصدّق عليهما قول الواحدى فى ابن جنّى : وأما ابن جنّى فإنه من الكبار  
فى صناعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه  
إذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، ولجّ به عناره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى  
ما قالاه - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ  
فَكُلُّهُ يَبْعِدُ الِهِمَّ فِيهَا مُعَذِّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا همّ له لا يخلو فيها من  
العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا  
البيت وهو من الوضوح والجللاء - كما ترى - ؟ . . . على أنهما - فى شرحهما  
عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قيداً أنملة ؛ فهما  
عدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يتفصّيا منها ، ويستقلّا بالشرح  
دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكبا جواداهما ، أوتبلد حماراهما .  
ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومرض  
ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه جزئية من المزاياد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعرفها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ، وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام - كما يقولون - فيعتسف الطريق ، ويتخطب تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فياسوف اللغة العربية ، العليم بخصائصها ، الطيب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح - يعنى ابن جنى - . وكان ابن جنى يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذى يغزوه . ورغم ذلك تراه فى كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ، ولجَّ به عثاره .

وهكذا تتبعنا جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ، والعروى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلح - فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال !!  
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد أكون - فى بعض الأوقات - مستعجلاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مُرْهَفَ الطَّلْعِ . مَصْقُولَ الذَّهْنِ ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي - فأتى بما أَرْضَى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى متقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الأبيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأتهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذاك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخیل ، وأن هذا أصبح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

ولَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبى الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كراً باقعة داهية ، فكان من دهائه يعتمد إلى بعض المعانى التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقَى ، فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويمجد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميالاً وهو لا يفوت أطراف بنانه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على حبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أُبْلَغَ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبِيعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذى تراه فى بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة فى حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - فى الشام وفى مصر وفى بغداد وفى فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلصسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدياء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يحتمد لكثير من قصائده ويتعمل لها ، ويتنطس فى ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويعين فى الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزاً جافاً معقداً حُرِّمَ طُلُوة الطبع وروقه ، وفقد نصف الجمال الشعرى .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذى هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التى أسافناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه فى أكثر شعره ينقصه التعبير الشعرى ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه فى الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإنى لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهى : إنما حبيب أبو تمام كلقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى فى كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعَنوة ، كالشجاع الجرىء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما نقى ولا حيث وقع اه .

فأنت - إذا نظرت إلى أبى تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ،  
وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى  
يطالعك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي - هم لات  
الشعر ، وعُزَّاه ، ومَنَاتُهُ ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ،  
وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين  
إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شُهد له بكل معنى  
مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه  
على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه  
إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره  
برائضه ، أطاعته أَعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، نَحْذِ مِنْى  
فى ذلك قولـه حكيم ، وتعلَّمْ ، فقوى كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادة البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ،  
ولقد حاز طَرَفِي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث  
بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال :  
أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ،  
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من  
الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،  
مع قربهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، وورق  
فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه



خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأتماً ، ولا منه مثلاً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، واللاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنبر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومنها وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ    إِنْ الْكَرَامَ بَأْسَخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا  
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ    قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبسته لباس اللام ، وجعلت عِرضه غرضاً لسهام الأقوام « كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويُظن أنه يتخَوَّته ويشينه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبين طريقتهم من طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعاتهم في أخذه مختلفة ، وتراهم قد تناولوه بوجوه كثيرة مُحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ<sup>(١)</sup> فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع مهالك ؛ وقارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهد مع الذاهين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبى كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغي بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مُهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ — كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس — ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غيره وقلبه ، وإما صبه على حدوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بمعان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

---

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا — بعد شرح بعض الآيات — : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الاشباه والنظائر : هو لتري كيف يكون التوليد . واتخاذ ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبها له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخطب ويُسف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذره ، وهو قادر على أن يُفنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحينه الردى أن يحمله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد ، كما تضرع النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرعها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يفتنه إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فاشدّد يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جيده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك ألهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

\*\*\*

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بمجديد ... وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كلقطة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى تقدمه إليك ...

\*\*\*

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقيَنَّ في رُوعك أنه بذع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكْرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يغنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاحِرٍ      وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرقرفى

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

## مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أُمضِيَتْ النية - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضع شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبي ، وأَخَذْتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يُحْفِزُنِي حُفْزاً ، ولا يكاد يُبْلَعُنِي رِقْيٌ ، وكان يقتلوني من « أصول » هذا الشرح دِراً كما « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمس على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حَدَثَ هذا طَفِقْتُ أَقْلَبُ النظر في هذا الكتاب وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، الخطِرةَ بَعْدَ الخطِرةَ ، وكلما أُنْعِمْتُ النظر في الشرح بدا لي ما يَسُوهُ وَيُكْذِبُ ، وَيَحْزُنُ في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنئيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق .... فلم يك مني إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستعمماً بالصبر حتى نَفِدَتْ نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أُحِيْتُ مِيتَ الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمَتِي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أثراً مني ( ٢٢ - المتنبي )

واستبدادا بالمتنبى . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَّدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بَيَّنَّ أَن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرى ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت فى بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يؤلم أذهان هذا الجيل . . . فكان كلُّ أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التى ألت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً لمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحقّق ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جُهد المقلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العباد الأصفهاني حين يقول : إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي  
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

ولأننا نترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه  
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،  
ويُضْفِي عليه من القبول ما يُعْمِّمُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيل  
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

**عبد الرحمن البرقوقي**

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

## سيرة المتنبى •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي البكندی الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . . الخ .

وجعفي جد المتنبى : هو جعفي بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبى يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صحاء النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلطاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبى في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعار منها :

أُمْنِسِي السُّكُونُ وَحَضْرَمُونَا      ووالدتي وكندة والسيما

وقد روى الخطيب عن علي بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لي به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين

---

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعمدته في هذا التلخيص : كتاب ذكرى ذ المتنبى ، للدكتور عبد الوهاب عزام .



القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربكم ولا طلله أولَ حَيٍّ فِراقكم قتله

وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .

ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى نفرت لا بمجدودي  
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلى بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمى نخوة يمنية ونفس بها في مازق أبدا ترمى

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كنبدة التي ولد بها المتنبي ، بكنبدة القبيلة ، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاوته ، وهو - على الرغم من كل أولئك عربي قح ، هريق في عروبتة ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبى كان سقّاء ، وقد هجاه ابن لنكك  
البصرى لما سمع بقدمه بغداد راجعاً من مصر فقال :  
لكن بغداد جاء الفيت ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم  
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما .. وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبى سافر به إلى الشام ، وتقل به بين حضرها وباديتها  
ومدرها ووبرها ، وردده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبى لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجع  
الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المنبى ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجع أنها ماتت في  
حدثاته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى  
التي تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان  
اعتقاله :

ييدى أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لآتى غريب  
ولأمّ لها إذا ذكرتى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً  
بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته  
وسيرته ولأمس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفها حلاً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويين ، فكان يتعلم دروس العربية شمرأ ولفة وإعرايا » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلاً : يا هذا لقد عطفتني عن بيعه ، فإن كنت تبني حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بميد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيك . قال الوراق : فأسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هرباً صرماً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوي : إنه أقام في البادية سنتين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما حاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثر يبين في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقد رحل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المتنبي» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» وإنه وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كُتَّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد لحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكري ونفطويه وابن دستويه، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الغفران ؛ وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مرور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى في شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا      والبين جَارَ على ضعفى وما عدلا

في القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت في الشام ، أما ما قبلها ، فقيم في العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره في بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحاباً ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب المجد والسؤدد ورفع الشان ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلغ إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيد وابن رائق ، ثم بين الأخشيد وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضى بالله العباسى عظم أمير ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد سلطانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخي الأخشيد ، وطاهر العلوي ، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلعاها :

جَلَّا كَابِي فَلَيْكُ التَّبْرِيحُ    أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْخُ  
(و)

أساور أم قرن شمس هذا    أم ليث غاب يقدم الأستاذا  
ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ» : كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهى إلى منبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في منبج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضي قُدُماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي ؟ .

\*\*\*

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضا رواية عن خاق يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية ، قاتله وأسره ، وشرذ من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبسًا طويلا فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمعري في رسالة الغفران : أنه لما حصل في بني عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواه - : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهورا كب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب اقلبت على يده سكين الأقلام ، فخرجه جرحًا مفرطًا ، فقتل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أيامًا وليالي ، فقبل الكاتب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعبي الأموات .

وفي الصبح النبى : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لشباب خطير تصلح لمندامة ملك كبير . فقال : ويحك ! أتندري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ، وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب أبو الطيب من حسبه إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب ..... الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها وتعقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جبهة الرواة أنه تنبأ لجمعلوا في رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ، وهذه مقطوع ببطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ، لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فمناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض أوله آخره .

والذى يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضله ، ففي الديوان قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد من تهوره فقال :



أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامى .  
وليس في هذه القطعة إلا الخططرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه  
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات  
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائيى نبله ،  
على الحدائة فى سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأدى خبره  
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسائرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد  
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شزيمة بقوة أدبه وحسن كلامه »  
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كنه  
الألسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخى : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند  
اجتيازها بها إلى فارس فى حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبى ، لأنى أردت  
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابنى بجواب مغالط لى وهو أن قال : هذا  
شىء كان فى الحدائة » .

ويقول ابن جنى فى شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان فى صباه  
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد اتقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ  
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى فى تلقيبه بالتنبى فهو قوله :

أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

وذلك رأى تميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته فى الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدْ قُدُّودَ الْحِسانِ الْقُدُودِ  
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبى لم تكن ادعاء النبوة ، وإنما كانت دوى  
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي  
اتهمه « بالعدوان على العالمين » أى بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبى ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود  
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبى ، وفى أيامنا  
هذه من أمثال ذلك كثير فى الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب  
وذاع وسرى فى الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع  
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،  
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

\*\*\*

ونعود إلى سيرة المتنبى فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، أو فى السنة التى بعدها ، ويؤخذ ذلك  
من أنه قال فى قصيدته التى أرسلها من سجنه إلى الوالى يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشْنِيَّ كُشَاءَ أَحْسَ زَيْبِرِ الْأَسْوَدِ

والخرشنى هو : بدر الخرشنى والى حلب من قبل الخليفة العباسى ؛ وثابت  
فى كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة  
بعد أن تركها الخرشنى إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح  
الخرشنى إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيد على حلب ؛ فيكون سجنه فى هذه السنة  
أو فى التى تليها .

ولقد ثبت أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيخييون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم  
كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته  
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا  
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي  
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم  
التوخيين وابن عمار زمنا . وأكثر البلاد نصيبا من مدائحه : منبج ،  
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،  
وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامعه  
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبحاث عن آماله وأوخت عن أحلام  
نفسه الكبيرة .

\*\*\*

ولم يفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .  
روى ياقوت في معجم الأدباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق  
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجْتُ رَسِيْسًا      ثُمَّ اقْنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسًا  
وصله عليها بعشرة دراهم . فقليل له : إن شعره حسن . فقال : فما أدرى أحسن هو  
أم قبيح ، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين  
درهما . وروى الثعالبي : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً  
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غواربا      اللباسات من الحرير جلابيا  
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدراهم ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء  
ضخماً ، يلاثم شعره ومكاته .

\*\*\*

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبنى المجد والسؤدد ، ويأهج بالملك ، ويبنى  
صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبيع ما أبغى من المجد والعلی تساوى الخايى عنده والمقاتل  
وعند ما لاه معاذ اللاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفى عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة  
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير  
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام  
نفسه وأنها تأنيبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر  
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء  
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها على  
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا للنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بها المقيث بن على بن بشر العجلي ، والتى  
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب للثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس  
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله  
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته ، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب  
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :  
ومن عجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والاسطان ، الذي وسع صدره هذه  
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى  
قصائده صباه :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد  
ضاق صدرى وطال في طلب الرزق قيايى وقل عنه قمودى  
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اظمئنى الدنيا فلما جتها مستقيماً مطرت على مصائبها  
ويقول التتالي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،  
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة مالا في سبيل غايته من  
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن  
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عاياه ، وليس يغيب عن ذهن ما قاله في تحقير الناس ، من  
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد  
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعاليًا على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه  
على أهل زمانه ، ونحسبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حفل الناس به  
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسعى إليهم . يقول في إحدى  
قصائده صباه :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد  
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يُسنى نفسه بالقول  
( ٣٢ - المتنبي ١ )

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى الشيخ المجدّ ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويسيطر أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

\*\*\*

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مداخمة الأمراء والحاكمين ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طغج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قدمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هباً له السعادة والمجد ، وأعاناه على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طغج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتنع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يحف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخلا على ابن طغج فأنشده إياها وهي :

أنا لاثمي إن كنتُ وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم  
وكان هذا أول شعر المتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طغج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر الشاعر بالرملة قاصداً مصر وما قوله :

ترك مدحيك كالمهجاء لنفسى      وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد

\*\*\*

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ، وفي شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريريه ، وقد نزل لأبي الطيب عن سريريه ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يحدثه ويؤنس ويجلسه على سريريه ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المديح حقاً ، فلم يسمع أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه القصيدة هي :

أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب      وردوا رقادى فهو لحظ الحباب

\*\*\*

ويحمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء في أيدي القواد والأمراء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧ — ٣٩٤ هـ) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مريد ، وإنما يعيننا من هذه الدول دولة بنى حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ، وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بنى تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث وحاترث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطاح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي ديار مملكة ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقاة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يزود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقدّر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقدّر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تفتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخرّبوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فتأثر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى



العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرماً وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وفحول الأدب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس النامي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضاً منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من يمد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

\*\*\*

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببيعلبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقه في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناجيكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم  
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،  
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كينغلغ  
على مدحه - وكان جاهلاً - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك  
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح  
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فوجه أبو الطيب بقصيدة  
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه  
ابن كينغلغ خيلاً ورجلاً فأهجمزهم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبي  
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .  
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

\*\*\*

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما  
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية  
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ،  
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح  
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض  
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء  
جميعاً ، ومما أوحى به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد  
أن يتخذ من ممدوحه أصدقاء له وصحابة . وكان سيف الدولة سميح النفس  
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون  
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،  
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره النوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر  
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم  
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة  
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع  
عشرة قصيدة فى وصف وقائمه مع الروم ، وأربع فى وقائمه مع العرب ، وخمس عشرة  
فى الممدح المجرى عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث  
الروم ، والباقي فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها  
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك  
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،  
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه  
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخيه بأخرى ،  
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يقد على شاعره أئماً إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف  
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير  
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :  
اخترت دهماًتين يا مطر ومن له في الفضائل الخير  
حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعتة :  
فعلت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه  
في خلع أنفذهما إليه ، وقال قطعتة :  
أيا رامياً يُصَيِّ فؤاد مراره تربى عداه ريشها لسهامه  
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر  
لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .  
وينطلق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالنبطة والرضا ، ويفيض بالشكر  
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه  
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن  
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان  
يصحبه في أغلب حروبه ، فتسكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .  
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه  
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبثها الشاعر في كنف الأمير كانت  
أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه  
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين  
وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم  
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة  
والمحيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

المتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهراً طوالاً .  
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت  
شمس المتنبي غالبية على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو  
المتكبر المتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد  
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاء أو إخلاصاً .  
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكائده  
عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد غنى بكتبهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً  
ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائد  
وناصبوه العداة ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضعيف يقاوينى قصير يطاول  
ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة  
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمسا غير القطع ،  
فكان الأمير يفض عليه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة  
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين  
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر  
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشدد كثير  
الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن  
أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفى شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،  
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له فى مجلسه بما  
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك فى غيظ سيف  
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :  
واحر قلباه من قلبه شبح      ومن بجسمى وحالى عنده ألم  
وقد اضطرب المجلس عند إنشاده هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة  
بدمه ، فرخص الأمير فى ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر  
فى السامرى - وهو أحد كتاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :  
أسامرى ضحكة كل راء      فطنت وكنت أغبى الأغبياء  
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد  
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العتاش  
جماعة من غلامائه وقتت فى سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى  
وفى ذلك يقول :

ومنسب عندى إلى من أحبه      وللنبل حولى من يديه حنيف  
ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،  
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :  
ألا مالى سيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى أمضى السيوف مضارباً  
ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير  
نفلع عنيه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب  
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يعطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل  
دعا فلباه قبل الركب والإبل

\*\*\*

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :  
دروع لملك الروم هذى الرسائل يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل  
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب  
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب  
وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي  
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من  
ذلك قوله لكافور :

حيبتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا  
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في  
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه  
بقصيدتين ، وهى :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب  
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون  
آماله الواسعة في السلطان هى التي حملته إلى مصر ، يبنى ما عثر عليه في رحاب بنى  
حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم  
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

\*\*\*

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعري « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبي ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبي لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بفدرة - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المتنبي من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متسلكتاً لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضمنون مقدمة للهجاء المرة الذي هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى      وقليل لك المدح الكثير

( و )

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد



وكن قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدى هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخال القارىء إلا علماً به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسى على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته فى مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاہ حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أخفى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة فى الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره فى مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد خان سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور فى أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح فى ذلك ، إذ نال من الخليفة المظيع لله تولية لعلّ بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها فى يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .

وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذي أخرج جيوش المعز لمصر حتى مات ، نفخ لها السبيل ، وإن حزمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصير بالعمالية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجزيهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذي عرفه التاريخ السياسي ، غير كافور الذي عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فمن هؤلاء من صورته في أقبح الصور ، متأثراً بما لطخه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة وبغضاء ؛ فمن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائده وفطنته وكفايته ، لنسير في سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحاييد غير المحايي أو المتجنبي .

\*\*\*

وقدم أبو الطيب مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها في ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ، وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنيا أن يكن أمانيا  
وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو رابع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بغية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسيبين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثله ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معوته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بنى حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يحفيها ، يقول :

إذا كسب الناس المال بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا  
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا  
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنئ بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولن يدنى من البعداء  
وأنا منك لا يهنئ عضو بالمرات سائر الأعضاء  
وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يندق عليه من صفات طيبات .  
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء  
ويقول المعري : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليلفنه جميع ما في نفسه ، وإنه لا كذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :  
من الجاذر في زى الأعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب  
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمين على آثار موهوب  
ثم أنشد الشاعر كافوراً في عيد الأنهى قصيدته الرابعة :  
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما يبتغيه ، وبدأ بالشكوى الخفية  
والبيننة من مظل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فعلاً  
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يجره فيقول :  
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس  
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،  
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأمّ ومن يمتّ خير ميم  
وفي هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،  
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفي آخرها يقول :

ولو كنت أدري كم حياتى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكيمية مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق  
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير في طريق واحدة أو تستقر  
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطنح الكيل فلا يستطيع اصطباراً

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستمائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حندان ، ثم يحتكما بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرأ واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المدح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإنٍ ولا متمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شيبك العقيلي الخارجى عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المهرج والمرج ألقى شيبك ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك مذموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبى المسك ثمانية أشهر ، ثم لقيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبى المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حتى قال قصيدته :

( ٤٢ - المتنبي ١ )

ملوكما يحل عن الملام      ووقع فعّاله فوق الكلام  
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل  
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغت .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان  
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه  
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد المهمة ،  
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالفيوم ، أنفة من الأسود وحياء من  
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن  
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،  
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها  
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن الفيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب  
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن  
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك  
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك - مع ما بينه وبين كافور من المنافسة -  
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة  
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال      فليسعد النطق إن لم يسعد الحال  
وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،  
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح  
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيا في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُن لِي إِنْ الْبَيَاضُ خَضَابُ      فَيَخْفَى بِتَبْيِيزِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقي أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالغا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً      فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، ألوفاً مؤلفة ، ونحسب أن كافوراً لم يدر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوي إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد الممدوح في مواضع طرب لما كافور واحتزّ لها  
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فهو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه  
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على  
التذكير بالوحد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً ونأنيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،  
ثم إن تمدادى الشاعر في أشباه ذلك ، وراثته لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،  
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لفاتك - كل أولئك كان سبباً في أن  
يخيب أمل الشاعر في بيته ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبئ  
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يحول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،  
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الدليل .

ومما كان له أثرين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح  
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ  
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً  
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكاك من ذلك  
النطاق المضروب ، فلقد ظللما ردد ذلك في قصائده ، ولقد ظللما تبرم بمطل كافور  
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق  
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفي ، فلما طالبه  
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين  
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدواء



النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القاريء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمطالة ، بعد بقاءه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره مراراً عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففي هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك في صراحة وبيان ، وجاء في شرح المعري وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه في المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه في مسيره فأجابه : لا ، والله ، أظال الله بقاءك ، لا نكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياته التي أولها :

آخلف لا تكلفني مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذي لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبي شجاع فاتك ، الذي اتخذته صديقاً مؤنساً طوال مدة بقاءه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فاتك في شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء في شرح المعري وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على صر الأيام في لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة في المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماخ في الرمل ، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لعشرين » .

وفي ليلة عيد الأنهى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامساكه إياه عن الرحيل .  
وقد اشتهر أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،  
وهم بأخذ طريقه التي بَيَّت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد  
العزیز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته  
التي أولها :

جزى عرباً أمست ببلبيس ربها بمسعاتها تَقَرَّرُ بِذاك عيونها  
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :  
لئن مرر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزیز المـاجد الطرفین  
ولا ريب في أن كافوراً ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،  
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف  
يلاحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،  
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطير حتى خرج إلى مساء يعرف  
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهما  
وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبنى سليم على قلوبين ، فركب  
الخليل وطردهما حتى أخذهما ، فذكر له أن أهلها أرسلوهما رائدين ، فلما  
أمنهما استبقاهما ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بني سليم  
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فصار إلى النقع فنزل  
ببادية من معن وسُنُبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده  
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسَى . وهي أرض طيبة خصبة ،  
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطالب له  
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،  
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون  
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس  
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن  
يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد  
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ  
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :  
إن تك طيء كانت ثاماً فالأمهم ربيعة أو بنوه  
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،  
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون  
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث  
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض  
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامه ، فقال : هذه نخلة ،  
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى  
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بينى جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،  
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .  
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق للمهودة ، فقد سار  
« على الحلال والأحياء والمنفاوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدرية على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :  
ألا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيدى

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره ، ونجر ، وهما كافوراً .. وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نعمة على كافور وكرامة وبغضاء . وقد رثى فاتكا في ثلاث قصائد .  
أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والسمع بينهما عصى طبع  
وأنشأ ثانيتهما في الكوفة ، وقد أخرج تقاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :  
يذكرنى فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه  
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :  
حتم نحن نساوى النجم فى الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جنوة مشتعلة من النعمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغى ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - فى كل ذلك - أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهى قصيدة العيد التى تقدم ذكرها ، والقصيدة التى وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التى رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التى رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التى أولها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسى ولا عنك راضياً  
ومنها القطعة التى أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه  
ومنها القطعة التى أولها :

وأسودَ أما القلب منه فضيَّق نخب وأما بطنه فرحيب  
وقد نظمت فى شوال سنة خمسين وثلثمائة .

ومنها القطعة التى أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا  
وقد نظمت حينها م بالرحيل عن مصر .

\*\*\*

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب فى أيدى بنى بويه ، وقد نشأت دولة بنى بويه هذه فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فتعاون الإخوة الثلاثة : على والحسن وأحمد على التسلط فى فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فنههم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بنى بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدمعز الدولة يملك في العراق أساييع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً باختراب والدمار وانتشار الظلم والظغيان والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشاركه في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلب . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضي التنوخي ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السري الرفاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجراً ضبة بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يفدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لو سبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخاطبه على ألستهم من حيث هو فقال . . الخ » .

وفي هذه القصيدة أفذع المتنبي غاية الإفذاع . وفاض حقه فمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جنى : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصدا غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأنفذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة في الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وخسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل . ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - في شعبان سنة اثنتين وخسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه في السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فطلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .  
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنِّقاً من إغفاله إياه ،  
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :  
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .  
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد  
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من  
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،  
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبه المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،  
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي      ومن ذا يحمد الداء المضالاً  
ومن يك ذا فم مر مريض      يجد مرأً به الماء الزلالاً

وقولي :

أني كل يوم تحت ضنبي شوير      ضعيف يقاويني قصير يطاول  
إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص      فعي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته  
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه  
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان ميفضاً لأهل العلم ،  
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرى عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن  
حمزة البصري ، وابن جني ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .



وشاء الله أن يعلود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي  
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخروج أبي الطيب  
من مصر مراغماً كافوراً ، وبلغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب  
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخسين  
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كلنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك التبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير المهام . وقد قالها لما  
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن  
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخسين  
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية  
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذى الحجة سنة ثلاث  
وخسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرا الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بزاز ، في  
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بزاز للمرة الثانية في صفر  
سنة أربع وخسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة  
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أرتجان في الشهر  
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ؛ فضرب  
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وقصبت رب هذه  
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسي عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخل ذكركه ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليفظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أدخل ذكره ، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر      فرغت فيه بآمالى إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً      شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي  
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتمجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا      وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى  
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نَيرُوزُنا وأنتَ مُرادُه وورَّتْ بالذی أرادَ زَناهُ  
وفیها يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً  
على غیره من المدوحین :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين  
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :  
بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد  
وثانيتها قالها يصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنفُس وأطيب ما شمه معطسُ  
ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد  
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد  
وما كاد المتنبي - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى  
جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي ، فأنبأه ابن العميد به فقال :  
مالی وللدیلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منی ، ویصلک بأضعاف  
ما وصلتك به ، فأجاب : بأنی ملقی من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،  
وأملکهم شیناً یبقى ببقاء النیرین ویعطوننی عرضاً فانیاً ، ولی ضجرات واختیارات  
فیموقوننی عن مرادی فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فکاتب ابن  
العمید عضد الدولة بهذا الحدیث ، فورد الجواب بأنه مملک مراده فی المقام  
والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بني بويه عامة دولة  
للأدب العربي ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبی .

وسار المتنبي من أَرَّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شیراز استقبله عضد  
الدولة بأبی عمر الصباغ أخی صاحب کتاب حدائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفذ غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فوسط الدار  
واتتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية  
حملتنى إليك ، وأملا وقف بى عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه  
القصائد هى :

أَوْهَ يَدِيلُ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا  
وهى التى يعزى بها عضد الدولة فى وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية  
القصائد هى التى أولها :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرِّيسِ مِنَ الزَّمَانِ  
وفىها يحمن الشاعر إلى العربية التى افتقدها فى فارس فاجد لها أثراً .  
ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتى ألف درهم ،  
ولما استأذنه فى المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر  
أثر ذلك فى شعر المتنبى .

وأقام أبو الطيب فى شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد  
قصيدة الوداع فى شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطنب فى شكر الأمير ، ويرغب  
فى الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه فى طريقه ، وهى القصيدة  
التي أولها :

فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

\*\*\*

وكان خروج أبى الطيب من شيراز ، فى الثامن من شعبان ، قاصداً بغداد  
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلماؤه حتى بلغ الأهواز ، فقطع  
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط  
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يحتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرق من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنّى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلاً ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرق دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبّـل بعد أن قطع زُهاء سبعة عشر فرسخاً ، فزل عند أبي نصر الجبّلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فمر بجرجايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقى من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحمين وناشين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدرأ » .  
( م ٥ - المتنبى ١ )

ومن المرجح أن اليوم الذى أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :  
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب<sup>(١)</sup>  
ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى بأربعة أبيات رواها الثعالبي فى اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان  
ورثاه ثابت بن هارون الرقى النصرانى ، وحرّض عضد الدولة على عقاب  
من قتلوه بقصيدة أولها :  
الدمر أخبث والليل أنكد من أن تميش لأهلها يا أحمد

\*\*\*

وقبل أن نختم سيرة المتنبى ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ،  
ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حنّ إليهم فى شعره وتشوق للقائهم ،  
وقد ورد فى أخبار المتنبى ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن  
زوجه كانت من الشام .

\*\*\*

ذلكم كان أبو الطيب المتنبى ، الشاعر الذى خُلد مع فنه الخالد وشعره  
الشاعر ، ولا ريب أن القارىء أدرك من مجل سيرته ما كان يدين به من خلق  
واضح الحدود ، بيّن المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين فى شعره - متكبراً

---

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أبياً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال على بن حمزة :  
لأنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كشمه لهم على الموجدة والضعيفة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفياً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفرأقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليلبغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالفا المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

## ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جني ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومغتربه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومقدمه على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين ديرقنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفايه . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكنة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رواء ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية<sup>(١)</sup> شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نزل به ، فنى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلام      وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهود

وفي جود كفك ما جُذت لي      بنفسى ولو كنتُ أشقى نُمود

(١) كذا في الأصل ويتمل أن تكون « العربية » .



وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ      وعن النبوة ، لا أبالك ، فانتزع  
ترجيحَ دما قد كنت توجبُ سفكه      إن التمتع بالحياة لمن ربح  
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بمهجة      كرُمْتُ على فإن مثلى من سمح  
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقي دَمَك      بالهذيان الذي ملأت فك  
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على      قتلك قبل العشاء ما ظلمك  
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تقلب في عين دواءٍ من صلبه قلمك  
وهمتي في انتضاء ذى شطب      أقد يوماً بحده أدمك  
فاخسَ كلييا واقعدْ على ذنب      وأظلِّ بما بين أليتيك فك  
وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل  
بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره  
فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره      فإنما يقطات العين كاللحم  
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تتمتع من سهادٍ أو رقادٍ      ولا تأمل كرمى تحت الرجام  
فإن لثالك الحالين معنى      سوى معنى انتباهك وللنام  
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فإنا بالنا      نفاق ما لابد من شره

فهذه الأرواح من جَوِّه وهذه الأجسام من تَرْبِه  
مذهب الفضائية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :  
فإن يكن المهديُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا ، وإلا فالهدي ذَا ، فما المهدي  
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ  
فَقِيلَ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرُكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ  
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان  
إذا خلع ربة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد  
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسحا . ثم جئنا  
إلى حديثه واتِّجاعه ، ومفارقتة الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،  
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة  
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبى  
دفعات في حال عسره ويسره — أنَّ المتنبى قد مدَّح بدون العشرة والخمسة من الدراهم  
وأُنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمُجْدُوكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا  
قَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلُ وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا  
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبى يقول : أوَّلَ شعر قلته وابتضت  
أيامى بعده ، قولى :

أَنَا لَا نَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوْائِمِ

علمتُ بما بي بين تلك المعالم  
فإني أُعْطِيتُ بِهَا بِدَمَشْقَ مِائَةِ دِينَارٍ . . . ثم اتصلَ بأبي العشائر ، فأقام  
ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحمله  
وأجابه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذه من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جاذبة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ويحكما ، فلما قتل توزعت دفاتره ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وَلايَةً      لِحُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ  
يَلْتَمِسُ وَلايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أَجْسُرُ عَلَى تَوَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، لَأَنَّكَ  
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتَكَ صَيْدَاءَ ، فَمَنْ  
يَطِيقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :  
فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي      أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرِّوَاءِ  
وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا      نَ لِسَانِي يُرَى مِنْ الشُّعْرَاءِ  
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :  
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :  
يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ      وَصَرَ عِي رِجَالِي فِي وَغِي أَنَا حَاضِرُهُ  
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا      ذَرَا عَقَدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَقَاوِدِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً في جنبته بعد أن كان حويّلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَقَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوها أَبَدًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أُنْشِدَهُ :  
وَمَا ائْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالْظُّلُمُ  
وآخِرُهَا :

بَأَى لَفْظَ يَقُولُ الشَّعِرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا نَجْمٌ  
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !  
فَلَمَّا ائْتَهَتْ مَدَّتُهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ  
بِاسْطِ عَنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مِصْرَ فَأَلَمَ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ ، إِلَّا  
أَنْ أَوَّلَ شَعْرِهِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِفِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :  
كُنِيَ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا  
حَتَّى ائْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاكِيَا  
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبَغْدَادَ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنْ  
سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُتَنَبِّيُّ ،  
فَخَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سَنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أُنْشِدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَاكُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلُهَا :

فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمٌّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ  
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مِصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ  
جَنْبِيَّةٍ مُنْعَلَةٍ بِالذَّهَبِ ؛ فَسَمَاءُ أَهْلِ مِصْرَ بِفَاتِكَ الْجُنُونِ . فَلَقِيَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْمِيدَانِ  
عَلَى رِقَبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،  
ثم مضى فأتك لسبيله ، فرثاه المتنبي وذمّ كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فأتكِ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِيّ الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتهمز الفرصة في العيد — وكان رسم  
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحللات وأنواع المبار ، لرابطة  
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ  
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله  
وجماله وهو لا يالو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛  
إلى أن جازه على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل  
الكوفة ، وقال يقصّ حاله :

ألا . كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما ر : إماماً لهذا ، وإما لهذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكر وّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس  
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب  
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر  
للأصبهيد بالجليل وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكير بمرجان — عن العلوي العباسي نديم  
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ، وقلّ له : قدك اتنذ أريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

\* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب \*

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبى الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ، فما تكون صلتها ؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرىّ خرجتين إلى أَرْجَان ، يجيى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فمما حديثه إلى المتنبى بمحصوله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفْتُ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَذَرَ فالعمرا  
وقال المتنبى : هو جُرَابًا ، وهذه أمكنة قتلها علماء وإنما الخطأ وقع من النقلة !  
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جرامًا ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًا مجدًّا فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علقَ لجامَ دابته فى صينية الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ  
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نَجَزَها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد يقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسّته - فثار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسي عليه تحفة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كفه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

\* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا \*

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعب السفر كان يفتش أبو الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمهم النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُحر جواباً ، إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنتاً ومعتذراً فقال :

هل لمُذرى إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادة

فأخبرني البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوین فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أَقْلَامُ يَكْفُكُ أَمْ رِمَاحُ وَعِزُّ ذَاكَ، أَمْ أَجَلُ مَتَاحُ

قال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخارى أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها:

\* لَا شُرْبَ إِلَّا بِسِيرِ النَّأْيِ وَالْعُودِ \*

خمس عشرة ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسة آلاف دينار على كلمة فيه، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جاريًا على التأييد، فأتاه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن: أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده في طريقه:

أَنْتَ عَلَيٌّ وَهَذِهِ حَلَبُ قَدْ فَتَى الزَّادُ وَاتَّهَى الطَّلَبُ

فأطلق له ألف دينار، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بخمسمائة دينار، فجاءه الخازن بالدواة والبياض، فوقع بألفي دينار؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي: الكلام ريج، والخط شهادة، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودّع أبا الفضل بن العميد، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه، فمرّقه ابن العميد فقال المتنبي: مالي وللديم؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب بأني مكنت من هؤلاء الملوك: أقصد الواحد بعد الواحد، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عرضاً فانيًا، ولي ضجرات واختيارات، فيعوقوني عن مرادى، فأحتاج



إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكتاب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث .  
 فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظن . فسار المتنبي من أركان ، فلما  
 كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى  
 أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشه  
 فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس  
 العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة  
 فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلمته وهي :

فلما أَمَحْنَا رُكُوزَنَا الرِّمَا حَ حَوْلَ مَكَارِمِنَا وَالْعَمَلَا

وَبَنَّا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمِنْ بِالْعِرَاقِ وَمِنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى

وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنَّى أَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفَضَ غِبَارَ السَّفَرِ واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار  
 انتهى إلى قرب السرير مصاحمة ، فقبل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرتُ  
 مطية حملتني إليك ، وأملاً وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من  
 مصر ، وعن علي بن حذان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط  
 وقام بيده دَرَج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب  
 في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبذرة دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فقتل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديمًا  
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عَنَّا

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خِلعة ملكية ، وبذرة بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضره ، وقام ابنه يلتبس أجرة الغسال ، فأخذ المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصلوك والغسال ! يحتاج الصلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعل فرسه ، ويفسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلفت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد زمان الديلم ، فرّق في يوم واحد بشبذيز قرميسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم - ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوّفه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب وَرَدَ فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم المتنبي بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعر كذوب البرد أتنا به خاطر قد جمد  
فأقبل بمضغه بعضنا وهم السنابير أكل القدد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المتصدد  
ولو وليّ النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأمير  
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .  
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال  
الشعر على قدر البقاع . . . .

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينتته ، وأكابر حواشيه  
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس  
مولانا سوى أحد الطائنين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما  
فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأنقاله  
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف  
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي  
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسّها في الطريق ،  
وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فحضرتة أنا وقلت : قد أقت للشيخ  
نُزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتيه . ثم جاءه فأتك الأسد بجمع وقال : قدم  
الشيخ في هذه الديار وشرفها بشعره ، والطريق بينه وبين دِرْقَنَة خشن قد  
احتوشته الصمّالكة ، وبنو أسدٍ يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة  
ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أتى الله ييدى هذا الأدم  
وذباب الجراز الذى أنا متقلده فإنى لا أفكر فى مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه  
وجمع من رتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً  
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان فى صحبتته ،  
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه فى يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرس أحدُهم وجزّ رأسه ، وصبّوا أمواله  
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيف الدولة  
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال  
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من  
( الفريب المصنف ) سوى حرف واحد هو في ( كتاب الجهرة ) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ<sup>(١)</sup>

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخيل  
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط  
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وفيه ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض  
أه كلامه مع بعض اختصار .

---

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضَى كَمَا يَمْضَى السَّنَانُ لِطَيْبَتِي وَأَطْوَى كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ

## شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شراح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات . أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورّجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المخلوط ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليقه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

## ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل سبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبدأ بترجمته . . .

\*\*\*

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زفى وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :  
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسلیمان ابن فهد بن أحمد الأزدى الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن ( ٦٢ - المتنبي ١ )

أبناء عدنان . . وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،  
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فَإِنْ أَصْبَحَ بَلَا نَسَبٍ فَعَلِمِي فِي الْوَرَى نَسَبِي  
عَلَى أَنِّي أَوَّلُ إِلَى قُرُومٍ سَادَةٍ نُجِبَ  
قِيَاصِرَةٌ إِذَا تَقَطُّوا أَرَمَ الدَّهْرُ ذُو الْخَطْبِ<sup>(١)</sup>  
أَوَّلَاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ كَفَى شَرْفًا دُعَاةَ نَبِي

ولد ابن جنى بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين  
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُتَمَتِّعًا بإحدى عينيه ، وما أظرفه  
حين يقول لأحد أصدقائه :

صَدُودُكَ عَنِّي وَلَا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نَيْبَةٍ فَاسِدَةٍ  
فَقَدْ وَحْيَانُكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدَةِ  
وَلَوْلَا خَفَافَةٌ أَلَّا أَرَاكَ لِمَا كَانَ فِي تَزْكِيهَا فَائِدَةٍ

وَحَدَّثُوا أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ<sup>(٢)</sup> أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فسا ترمرم : أى مارد جوابا  
وما ترمرم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفي حديث عائشة رضی الله عنها : كان لآل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أى رسول الله - لعب - أى  
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربض ولم يترمرم مادام في البيت : أى سكن ولم يتحرك  
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفى سنة ٣٧٧  
ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه  
وبين أبي الطيب المتنبّي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن  
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو  
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان  
شيراز يسير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

صحبته له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّتْ وأنت حَصِرِم . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبى كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبى يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبى بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عُدُوًّا كَأَثَرَاهُ      لَهُ يَا أَيُّ حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ<sup>(١)</sup>

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خَرَجَ بهم والدم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعتَه وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مَفَانِي الشَّعْبِ طِيًّا فِي الْمَفَانِي      بِمَنْزِلَةِ الرِّيِّعِ مِنْ الزَّمَانِ

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيٍّ حَكَى الْوَحْشِيَّ مُقْلَتَهُ  
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرْدَ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتَهُ  
وَشَمَّ بِأَنْفِهِ الرِّيحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ  
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَا ۚ فَاخْتَلَسَتْ نَكْهَتَهُ<sup>(١)</sup>

وقال الباخريزي في دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،  
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك  
الجريض<sup>(٢)</sup> حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضْرَةَ الْأَدَبِ  
وَصَوَّتْ بِمَدْرِىٍّ دَوْحَةَ الْكُتُبِ<sup>(٣)</sup>  
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجُلَى إِذَا انْشَعَبَتْ  
قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزَمًا غَيْرَ مُنْشَعِبِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ حَلَبْتَ لَعَمْرِي الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ  
تَمْطُو بِهِتَهُ لَأَوَانٍ وَلَا نَصِيبِ<sup>(٥)</sup>

(١) الصبأ من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .

(٢) الرقيق الذى يغص به

(٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .

(٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع  
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .

(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطو الجد والنجا  
في السير ، ووأن : متمهل ، ونصيب : تمب .



مَنْ لِهَوَاجِلٍ يُخَيِّمُ مَيْتَ أَرْضُهَا  
 بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقْبِ <sup>(١)</sup>  
 قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَانَتُهَا  
 تَنْبُو عَرِيكُهَا بِالْحِلْسِ وَالْقَتَبِ <sup>(٢)</sup>  
 أَمْ مَنْ لِيَبِيضِ الظُّبَا تَوَكَّاهُنَّ دَمٌ  
 أَمْ مَنْ لِسُمْرِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ <sup>(٣)</sup>  
 أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذْكِي جَمْرَ جَاحِمَا  
 حَتَّى يَقْرِبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهِبِ <sup>(٤)</sup>  
 أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَعْمُرُهَا  
 بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ  
 أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا  
 مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ <sup>(٥)</sup>  
 أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ  
 يُوَاصِلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ <sup>(٦)</sup>

- 
- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها  
 ويقال صدر بعيره إذا شده بجمل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : جبل يشد به الرحل  
 فى بطنه .  
 (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة  
 العينين ، والحلس : كساء تجلجل به الدابة يوضع تحت البرذعة .  
 (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر  
 إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية  
 (٤) الجحفل الجيش العظيم .  
 (٥) محمراً سراويلها : فالسراويل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء  
 (٦) المناهل موارد الماء . والتقرب : طلب الماء ليلاً .

أَمْ لِلْقَاسِطِ تَعَمُّ الْحُزُونُ بِهَا  
 أَمْ مَنْ لِيَضْمِ الْهَزَبِ الضَّيْفِ الْحَرْبِ<sup>(١)</sup>  
 أَمْ لِلْمُلُوكِ يَحْكِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشْبِ<sup>(٢)</sup>  
 بَاتَتْ وَسَادَى أَطْرَابُ تَوَرُّفِي لَمَّا غَدَوْتُ لَقَى فِي قَبْضَةِ الثُّوبِ<sup>(٣)</sup>  
 عُمِّرْتُ خِدْنِ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ  
 فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتُ  
 خُوصُ الرَّكَائِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحْكَ الرَّبِيعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ  
 وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِمَتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيْعَ الشَّبَابِ  
 أَأَثْرَبُ فِي الْكَاسِ - كَلَّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّى فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا  
 أَخَذْتُ بِبَعْضِ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتُ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القاسطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضمم العض أو النهش ، والهزبر الضيفم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : بمحذف إحدى التامين . أى تماس وتغاييل

(٣) اللقى ، الشيء الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قرأ على أعرابي « طَيْبِي لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابي « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيظة ما أبقاها وأشدَّ محافظة هذا البدوى عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةً والدنيا مفرقةً      وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ  
فقليل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال مُزَعَجٌ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لَحَنْتَ وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وَحَرَّضُوا بين عبد الله من حُحِي	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُشَبُّ بها	نار الجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عَقِيلِي جَوْنِي تَمِيْعِي ، يقال له محمد بن العَسَافِ الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شَفْنَا بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدٍ فِطْنَتِهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أنك لا تقول « أبوك » أبدأ ؟ فقال « إيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معانى هذا الأمر فى أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرنى أبو على عن أبى بكر عن أبى العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت سابقَ النهار ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح ، فى هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها : أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثانى : أنهم قد ينطقون بالشئ وفى أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشئ وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى أقوى وأعرب .

قال ابن جنى : وسألت الشجرى صاحبنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ، لأنها إنما تأتى أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها قلت له يوماً ولابن عمّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصغراء قالوا : « صغبراء » قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال له « عَلَيَّي » وأشتم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهبا غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسّسٍ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحَرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضوع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبته استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة المُصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيها لا سيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب<sup>(١)</sup> ، وضَيون<sup>(٢)</sup> ، وهزَبران<sup>(٣)</sup> ، ودودرى<sup>(٤)</sup> ، وقرنفل ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد للنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكاكين قلت : فقرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثان ، قال : عثمانون ، قلت : هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبته وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثارتها له لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

---

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفى بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

## الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى<sup>(١)</sup> ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى<sup>(٢)</sup> فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

---

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد لإبراهيم الثعالى النيسابورى المفسر المشهور : كان أواخر زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالى والثعالى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالى صاحب يقيمه الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبا  
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا  
يَظَلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صَبَابَةٍ  
فكم زَفَرَةٍ قد هَجَّتْها لو زَفَرَتْها  
وكم لوعةٍ قاسيتُ يومَ تركتني  
وَعَادَ النهارُ الطلقَ أسودَ مُظْلِمًا  
وَأَصْبَحَ حُسنُ الصبرِ عَنِّي ظاعنًا  
فأقسيم لو أَبصرتَ طَرْفِي بِأَكْيَا  
مَسَالِكِ لَهْوٍ سَدَّهَا الْوَجْدُ وَالْجَوَى  
فِدَاؤُكَ رُوحِي يَا ابْنَ أَكْرَمِ وَالِدِ  
وَأَنشدله :

شَوَّهَتِ الدُّنْيَا وَأَبْدَتِ عَوَارِهَا  
وَضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ  
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي ضِيَاءُ نَهَارِهَا  
لِتَوَدِّعَ مِنْ قَدِ بَانَ عَنِّي بِأَرْبَعَةِ  
فَوَادِي وَعَيْشِي وَالْمَسْرَةَ وَالْكُرَى  
فَإِنْ عَادَ عَادَ الْكَلُّ وَالْأَنْسُ وَالذَّعَى

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً  
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري  
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَطَّائِه ، وأخذته من معادِنِه ، أما اللغة فقد درستُها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله <sup>(١)</sup> . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخَجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بمجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُب ، ثم لم أُغِبَّ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

---

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبي منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .



وأما النحو فإني لما كنت في مبيعة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكذّه إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرنى بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكنا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حفظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه<sup>(١)</sup> وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة بل صدرم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى زفت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب الريح فى الأفطار .

فسارَ مَسِيرَ الشمسِ فى كلِّ بلدةٍ  
وهبَ هُبوبَ الرِّيحِ فى البرِّ والبحرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نحليهم ، وأقرؤا له بالفضيلة فى تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وصحبه عليم أنه منقطع القرين ، ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحراً لا يُنزف وغوراً لا يُسبّر ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرها ، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها طال الخطب ومَلَّ الناظرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نعت على غيرى إمامه ، ونعت عليه إغفاله ، لا يدع لمن تأمله حارة فى صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً فى صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحجاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجذع المرخى من المقتبسين ، والريّض الكرز من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراول غلقاً ضاع عنه المفتاح ؛ ومنخبط فى ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَيْفَتَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرِ  
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ،  
وَتَذَكُّرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وَأَرْخَى الْعِطُولُ ، وَأَنْظَرَنِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى يَتَلَفَعُ بِالْمَشِيبِ الْعِذَارُ أُرْدَفَتَهُ  
بِكِتَابٍ أَنْضَجُهُ بِنَارِ الرَّوْيَةِ ، وَأَرَدَّدَهُ عَلَى رُوقِ الْفِكْرَةِ ، وَأَضْمَنَهُ عَجَائِبِ  
مَا كَتَبْتَهُ ، وَلَطَائِفِ مَا جَمَعْتَهُ ، وَعَلَى اللَّهِ الْمَعُولُ فِي تَيْسِيرِ مَا رُمْتُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلَّمَا  
قَعَدْتُ أَوْ قَتُّ .

### ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بغية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن  
عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح  
الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ،  
والتجنى على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده  
في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،  
ومن شعره :

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بَعِينِيهِ رَفَقَا      إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مِنْ قَلَاكَ  
أَكْثَرُ اللَّائِمُونَ فِيكَ عَتَابِي      أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَاكَ  
إِنْ لِي غَيْرَةٌ عَلَيْكَ مِنْ أَسْمَى      إِنَّهُ دَائِمًا يَقْبَلُ فَاكَ

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فوزجَه فقال :  
بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاى وتشديد الجيم .

## ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدررة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجازة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التسهل في الرواية ومن شعره في ألغى :

وشادِنِ في لسانه عَقْدٌ حَلَّتْ عَقُودِي وأوهنت جَلْدِي  
عابوه جهلاً بها فقلت لم أما سَمِعْتُمْ بالنَفْثِ في العَقْدِ  
وله من قصيدة :

فلا تُتَفَدَّنِ العمر في طلب الصبا ولا تشقِّين يوماً بِسُفْدَى ولا نعم  
ولا تندبن أطلال مِية باللوى ولا تسفحن ماء الشؤون على رَسَمِ  
فإن قُصَّارَى المرء إدراك حاجة ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يا من رمى النار في فَوَادِي وَأَنْبَطَ العين بالكَاءِ  
إِسْمُكَ تصحيفه بقلبي وفي ثناياك برء دَائِي  
أُرْدُدُ سلامي فإن نفسي لم يبق منها سوى النماء

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء

أنهكه في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء

وله شعر كثير ، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسة رحمة

الله تعالى .

## ابن الإفلح

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفلح<sup>(١)</sup> إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع والزوابع إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفلح فإنه من نفسى مكين ، وحببه بفؤادى دخيل ، على أنه متحامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلاً عن ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفلح الذى به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربى والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء الكاثنين بقرطبة من آل حمود إلى أن نال الجلاء ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفلح - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المشتاة من تحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفلح وهى قرية بالشام كان أصله منها ،

عبد الرحمن المستكنى بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين التسكلمين ، فلم يَجْزِ في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرَحَهُ ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الروانى في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والسامى والحمار وغيرهم ، وطلب ابن الإفلحلى وسجن بالمطابق ، ثم أطلق . . . . . وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذا كبراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المنيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

## الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعموبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وأخذ عن أبى الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرد به بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وُضنى يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ... ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفلاويق درّجها ، وورثها عن آباءه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ مَوْصُولَةً الْإِسْنَادَ بِالْإِسْنَادِ  
يُرْوَى عَنْ الْعَبَّاسِ عَبَّاسِ بْنِ زَا رْتَهُ وَإِسْمَاعِيلَ عَنْ عِبَادِ  
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لَقِبَ بِالصَّاحِبِ مِنَ الْوُزَرَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَصْحَبُ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ  
فَقِيلَ لَهُ صَاحِبُ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا اللَّقْبُ لَمَّا تَوَلَّى الْوِزَارَةَ وَبَقِيَ  
عَلَمًا عَلَيْهِ .

وذكر أبو إسحاق الصّابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه  
صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب  
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة  
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي  
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين  
وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب  
على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني  
يوما أبياتا نونية من جملتها :

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُهْدِي الْفَنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْدُنَا  
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَيْسَى لَمْ نَخْلُ مِثْلَهَا مِمَّا كُنَّا  
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي صُنُوفٍ مِنَ الْخَزْ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له : احلني  
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس وبغل و حمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله  
سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بمجبة  
وقيص ، وعمامة ، ودراعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من الماز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِمُرِّ الدَّاءِ ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخسوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقيل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وَشَادِنِ جَمَالِهِ      تَقَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي  
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي      فَقُلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ      وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلِ الْأَمْرُ  
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ      وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .



قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزبه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قائلا يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَمْرَكَ ؟ قُلْتَ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أَذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، فَقَالَ أَجْزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتَ قُلْ ، فَقَالَ :

\* ثَوَى الْجُودَ وَالْكَافِيَ مَعًا فِي خَفِيرَةٍ \*

قُلْتَ : \* لِيَأْنَسَ كُلُّ مَنْهَا بِأَخِيهِ \*

فَقَالَ : \* هَا أَصْطَحِبَا حَتَيْنِ ثُمَّ تَعَانِقَا \*

قُلْتَ : \* ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزْبِهِ \*

فَقَالَ : \* إِذَا ارْتَحَلَ الثَّائِبُونَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِمْ \*

قُلْتَ : \* أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ \*

ذكر هذا البياسي في حماسته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفى أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نحر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نحر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، وورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنُ عِبَادَ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّ أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَأْخَرُ جَوَادُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نخر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبى ، وتوفى نخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

### أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيذين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بآر جان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبطط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا  
مُقِيمًا وَإِنْ أَصْرْتَ زُرْتَ لِمَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ  
أَغْبَى وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقْلَمَا

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صَرْفَ الرِّاحِ بِشَرْبِهَا  
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسَا  
الْكُاسُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتِلَاؤُهَا  
فَقَرَّغَ الْكَيْسَ حَتَّى تَمْلَأَ الْكُاسَا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ  
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ نَحْلِيلٍ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان  
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث  
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق صاحب بن عباد غير راض بعمل فيه :

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أَخْجَلَ الدِّيَمَا  
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا  
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَكِيبٍ مِنْ خِرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ  
قُلْتُ اكْتُبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

## العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لنوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدييات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيت به بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرئ عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم والهداية إلى نظم المنشور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرر عبادة إلاّ القرّافة

لئن لم يرحم المولى اجتهدى وقلة ناصرى لم ألق رافة

## ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والثعلبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التميمي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يبين فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق      فما يصبو إليك ولا يتوق  
جفاؤك كان عنك لنا عزاء      وقد يُسلي عن الولد العقوق  
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا      باق ونحن على النوى أحباب  
كم قاطع للوصل يؤمن وده      ومواصل بوداده يرتاب  
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي      لا فرّج الله عنه  
كم لمتهُ في هواه      فقال لا بد منه  
وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :  
لا رعى الله عزمة ضمنت لي      سلوة القلب والتصبر عنه  
ما وفت غير ساعة ثم عادت      مثل قلبي تقول لا بد منه  
ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جلياً على هجرانهم      فقواك تضعف عن صدود دائم  
واعلم بأنك إن رجعت إليهم      طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد  
ابن مقلد القضاى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه  
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همى بالحوول وصَدَّتْ عن الرتب العاليه  
وما جهلت طَعْم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه  
فأنشدنى لنفسه على البديهية :

بقدر الصعود يكون المبوط فإياك والرتب العاليه  
وكن فى مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك فى العافيه  
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه  
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه  
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الموى سواء  
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين  
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،  
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى  
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى  
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . ووَكَّيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون  
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف  
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكاييل والموازين وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بمسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتبسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

### الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المقرئ، يقول : أبو زكريا يحيى بن على التبريزي ما كان يَمْزِي الطريقة ، وذكر عنه أشياء . ثم قال : وذا كرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يتقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة : منها شرح الحاشية وكتاب شرح ديوان المتنبي ، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحاشية ثلاث أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، ودرس الأدب بالمدسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثربها الليل ، وهي بيمض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر في عتفوان شبابه قرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات .

وكان يَرْوَى عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن مجيرى البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره :

خليلي ما أحلى صبحي بدجلة وأطيب منه بالصراة غبوق



شربت على الماءين من ماء كرمه فكانا كبدرا ذائب وعقيق  
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلو الهوى ومشوق  
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى  
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى  
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى  
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المعتمد  
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاه البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب  
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر  
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :  
بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب  
وتابعها سرب وإنى لخطي : نجوم الدياجى لا يقال لها سرب  
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسَام من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام  
أقنا بالمرافى على رجال لثام ينتمون إلى لثام  
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون  
غير أنى لست من يكذب فيها ويخون  
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون  
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون  
فقت من كان واتعبت لعمري من يكون  
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون  
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجوت

وإذا فقتش عنهم فالأحاديث شجون  
 قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون  
 ووزناً بك من كما ن فقليل وقيون  
 أين شيبان وأزد كل ما زال ظنون  
 إنك الأصل ومن دو نك في العلم غصون  
 إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون  
 ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جفون  
 ليس كالقدح الملقى ليس كالبيت الحُجون  
 ليس كجلدة وإن آ نَسَ هزل ومجون  
 ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون  
 ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عُون  
 قلت للحساد ككونوا كيف شئتم أن تكونوا  
 سبق الزائد بالفضل فعزوا أو فمُونوا  
 دُمت ما خالف في الحدّ حرّك وسكون  
 وتلقاك المنى ما قرّ بالطير الوكون  
 إن ودّى لك عما يصم الودّ مَصُونُ  
 ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون  
 بل لقلبي فيك صبّ بالمصافاة يكون  
 غلق الرهن وقد تفلسق في الحب رهون  
 ومن الناس أمين في هواه وخون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلا الفياض أنا قطرة من بمرك الفياض

شرفتني ورفعت ذكرى بالذى ألبستني من الثنا الفضاض  
ألبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض  
إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أجزته من خاطر مرتاض  
وبخاطري عن مثل ذاك توقف ما إن يكاد يجود بالابضاض  
العارض البحر الغطاميطُ جدول أم درة تنقاس بالرضاض  
يا فارس النظم المرصع جوهرا والنثر يكشف غمة الأمراض  
يرى به الغرض البعيد وقد غذا فكري يقصر عن مدى الأغراض  
لا تلزمني من ثنائك موجبا حقا فلت لحقه بالقاض  
فلقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض  
أنم على يسط عذري إنني أقررت عند نذاك بالإفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين  
بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز  
رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء  
المهملة وبعد الألف ميم .

## المكبرى

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن  
أبي البقاء عبد الله بن الحسين المكبرى الأصل البغدادى المولد والدار الفقيه  
الحنبلى الحاسب الفرضى النحوى الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن  
أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من  
أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطى ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب الباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزحشري شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفقوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حي وبعد صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسة وتوفي ليلة الأحد ثلث شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستة بفسداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهمة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بلدة على دجلة فوق فسداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

### ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البفسدادي . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلماً من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشاب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الانتصار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسمعه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه الحاسة ضاهى به حاسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف للوكي ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي على محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم على بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فضيئنا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه      فلما التقينا صغر الخبر الخبير  
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مسالة الركبان تخبرنا      عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر  
ثم التقينا فلا والله ما سمعت      أذننى بأحسن مما قدرأى بصرى

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي وينسبان ( ٨ م - المتنبي ١ )

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : قال العلامة الزنجشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخيل قال له : يا زيدا وصف لي أجد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزنجشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمغم	عيش تقضي في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعى مضى الصباية طامح
شط المزار به وبؤى منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جامع
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالمعيق فشقنا	فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكي فكم من مضمهر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما المثلث الراشح
أدعى بدت لعيوننا أم رب رب	أم خرود أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفاح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأصربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود      وهل مكذب قول الوشاة جحود  
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا      وقد حَدَّ حَدّاً للبُكاء لبَّيدُ  
وإني وإن خَفْتُ قَنَائِي كِبَرَةً      لدو مِرَّةٍ في النَّائبات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أن يعيش أبوها      وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر  
فَقُومُوا فَنُوحًا بالذي تعلَّمانه      ولا تَحْمِشًا وجهًا ولا تَحَامًا شعر  
وقولا هو المرء الذي لا صديقه      أضاع ولا خان العهد ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما      ومن يبك حولًا كاملاً فقد اعتذر  
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظَعَنُوا فكَانَ بَكَاءَ حَوْلٍ بَعْدَهُمْ      ثم اِرْعَوَيْتِ وَذَاكَ حَكَمَ لَبِيدُ  
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً      فكن عبداً للملكه مطيعاً  
وإن لم تملك الدنيا جميعاً      كما تهواه فأتركها جميعاً  
هما سببان من ملك وترك      ينيلان الفتي الشرف الرفيعاً  
فمن يقنع من الدنيا بشيء      سوى هذين عاش بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكيم البغدادي الحرابي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذك من    نَظَمَ قَرِيضٍ يَصْدَا بِهِ الْفِكْرُ  
مالك من جدك النبی سوى    أنك ما ينبی لك الشعر

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القند في داره بالكركخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرة بفتح الشين المعجمة والجيم وبعبدا راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

### القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملاً ، مات بالرعي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاء بالرعي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه منظر ، وأبو الحسن قد ناهض الحلم ، فسمعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا<sup>(١)</sup> . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد إلى أن مات ،



ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير  
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى  
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى  
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضى عبد الجبار على  
قاضى الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذى الكتب نحسن صدورنا  
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نظمت أنت شذورها<sup>(١)</sup>

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا  
ذكره فى كتبه تبخّخ به<sup>(٢)</sup> وشمخ بأنفه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد  
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله  
رسائل مدونة ، وأشعار مفضّنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛  
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه  
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى بالثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك انقباض وإمّا رأوا رجلا فى موقف النل أحجبا  
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمه غرة النفس أكرما  
ومازلت منجازاً بمرضى جانبنا من الهم أعتدّ الصيانة ممّنا  
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظلما  
وما كل برق لاح لى يستفزّنى ولا كل أهل الأرض أرضاء منعميا

(١) الجرج : الحرر البمانى .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كلاماً      بدا طمعٌ صَيَّرَهُ لِي سُلْماً  
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي      لأخدُم من لاقيت لكن لأخدِمَا  
أشقى به غرساً وأجنيه ذِلَّةً؟      إذن فابنياعُ الجهل قد كان أحزماً  
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم      ولو عظموه في النفوس تعظماً  
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا      مُحَيَّاه بالأطماع حتى تجمها  
ومنه :

وقالوا- : اضطرب في الأرض فالرزق واسع  
فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق  
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يُميني      ولم يك لي كسب فمن أين أرزق ؟  
ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وسميَّه      ويتبعه في كل أخلاقه قلبي  
ويجتاز بالقوم العدا فأحبههم      وكلهم طاولي الضمير على حربي  
ومنه :

قد برَّح الشوق بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك  
لاتجنُّه وارع له حقه فإنه خاتم عُشاقك  
وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ  
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل  
نيسابور :

أيا قاضياً قد دنت كُتُبُه      وإن أصبحت داره شاحطة  
كتاب الوساطة في حسنه      لعقد معاليك كالواسطة  
ومن شعره :

وما تطلعت لذة العيش حتى      صرتُ للبيت والكتاب جالسا  
ليس شيء أعزُّ عندي من العلم      مـ فلم أبتغي سواه أنيساً !!

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً  
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقاً

على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها

عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر

فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل منوع بعدها واسع العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي

ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب وذلك قبيل العيد فجاءني  
رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديتُ عطراً مثلاً طيب ثنائه فكانما أهدى له أخلاقه

قال وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر

مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحقيره بي وتواضعه لي ؛  
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدد من فعلك الحسن

فالمر مطلوب ومكتسب وأعزه مانيل في الوطن

ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :

وشيدتُ مجدى بين قومي فلم أقل ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « ياليت قومي يعلمون »

بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن

علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عقد الإتيان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضر في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماء ، وفي الكمال علماء ، ثم عرج على حضرة صاحب فائق بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فردٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وفوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبمد وفاته ، من الولاية والمطة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعب كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصنى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتبي ما أعلم أنى لم أؤدّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللت على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجه هذه المناقب ، وعادته منى ألا يفارقتى مقياً وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتاد من فضله ، ليمجّل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذَرَقَةٍ<sup>(١)</sup> إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف  
النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى  
أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ،  
مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروفة في إظهار مسلوى المتنبي ، عمل  
القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره ، فأحسن  
وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد  
في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبهره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه  
من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد  
بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المتقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أُنْثِرْ عَلَى خَدَيَّ مِنْ وَرْدِكَ      أَوْدَعْ فَمَنْ يَقْطِنُهُ مِنْ خَدِّكَ  
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ      قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ مِنْ قَدِّكَ  
وَقُلْ لِمِنيكَ — بِنَفْسِي هَا —      يَخْفَتَانِ السِّقْمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَمَرْتُ بِمَنْ دَنَا      مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارِ صُلُودِ  
قَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمَقْلَتِي  
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي  
فَلَيْسَ قَرِيبًا مِنْ يُخَافُ بِمَادُهُ      وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ      لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أحداته      فعل الهوى بالدنفِ الهائم  
كأنما أصبح يرميهم      عن جفنِ مولاي أبى القاسم  
وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يانسيم الجنوب بالله بلغ      ما يقول المتيم المستهام  
قل لأجابه فداكم فؤاد      ليس يسو ومقلة لا تنام  
بنتم فالرقاد عندى سهاد      مذ نأيتم والعيش عندى لئام  
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش      ط فباب الشعير منى السلام  
يا ديار السرور لازال يبكى      بك فى مضحك الرياض غمام  
رب عيش صحبته فيك غرض      وجفون الخطوب عنى نيام  
فى ليال كأنهن أمان      من زمان كأنه أحلام  
وكان الأوقات فيها كئوس      دائرات وأنهن مدام  
زمن مسعد ولف وصول      ومضى يستلذها الأوهام  
كل أنس ولذة وسرور      بعد ما بتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبى بغداد أخلاف مزنة      تحاكى دموعى صوبها وانحدارها  
فلى منهما قلب شجائى اشتياقه      ومهجة نفس ما أمل ادكارها  
ساغفر للأيام كل عظيمة      لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كمهدا      إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟  
وصحبة أحباب لبست لفقدم      ثياب حداد يستجد خليعها  
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق      تجافت جفونى واستطير هجوعها !  
وإن أخلقتها الغاديات رعوها      تكلف تصديق النمام دموعها

سقى جانبي بغداد كل غمامة  
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت  
بها تسكن النفس النفور ويفتدي  
يحن إليها كل قلب كأنما  
فكل ليالى عيشها زمن الصبا  
وكل فصول الدهر فيها ربيعها  
يحاكى دموع المستهام هومها  
لواظها ألا يداوى صريعها  
بأنسٍ من قلب المقيم نزعها  
يشاد بحبات القلوب ربوعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن  
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت  
في كل يوم لعيني ما يؤرقها  
ما زال يبعدني عنه وأتبعه  
حتى أوت لي النوى من طول جفوته  
وما البعاد دهاني بل خلاقه  
لولا التحمل لم أنفك أندبه  
دياره وأراني لست أصحبه  
من ذكره ولقلبي ما يعذبه  
ويستمر على ظلي وأعتبه  
وسهلت لي سبيلا كنت أراهه  
ولا الفراق شجاني بل تجنبه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة  
ومدامع تجري فتحسب أن في  
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟  
آماقهن بنات إسماعيل

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموهم  
تلقين أطراف السجوف بمشرق  
فما سرن إلا بين دمع مضيع  
كان فزادى قرن قابوس راعه  
وقنا لتوديع الفريق المغرب  
لهن وأعطاف الخدور بمغرب  
ولا قن إلا بين قلب معذب  
تلاعبه بالفيلقي المتناشب

وله في صاحب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي  
تقسمي الأيام قسمة جائر  
كأني في مكف الوزير رغبة  
على نفس محزون وقلب كثيب  
على نظرة من حالها وشحوب  
تقسم في جدوى أغرّ وهوب

وله من قصيدة في صاحب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها  
سبقت بأفراد المعاني وألفت  
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة  
إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها  
خواطر كالألفاظ بعد شراذمها  
حصلنا على مسروقها ومعادها

وله في صاحب من قصيدة ينهته بالبره من المرض :

بك الدهر يبدى ظله ويطيب  
ونحمد آثار الزمان وربما  
أقوى كل يوم للمكارم روعة  
ويقلع عما ساءنا ويتوب  
تقسمت العلياء جسمك كله  
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب  
إذا ألبت نفس الوزير تأملت  
لها في قلوب المكرمات وجيب ؟  
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه  
فن أين فيه للسقام نصيب ؟  
وليس شحوباً ما أراه بوجهه  
لها أنفاس تحيا بها وقلوب  
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت  
حياتي وفي وجه الوزير شحوب  
تهلل وجه المجد وابتسم الندى  
ولكنه في المكرمات ندوب  
فلا زالت الدنيا بملكك طليقة  
وعما قليل تبسدى فحسب  
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب  
ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر  
كأني ألاق كل يوم ينوبني  
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي  
فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر  
بذنوب وما ذنبي سوى أنني حر  
أصيق به ذرعا ففندي له الصبر



وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى  
وبيني وبين المال بابان حرما  
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دوننا  
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم  
وماذا على مثل إذا خضعت له  
وله :

سقى الفيت أو دمي - وقلّ كلاما -  
بحيث استرقّ الدّعصُ وانبسط النقي  
أكثر من أوصافها وهي واحد  
وفي ذلك الخلدِ للسكران طيبة  
إذا خطرات الريح بين سجوفها  
تلقت بأنشاء النصف لحاظنا  
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه  
ومدت لإسبال السجوف بناتها  
لها أربما ، جور الهوى بينها عدل  
وحيث تنامي الحيف وانقطع الرمل  
ولكن أرى أسماءها في في تحلو  
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل  
أباحث لطف المين ما حطّر البخل  
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟  
وأعداؤنا حوّل وحسادنا قُبل ؟  
ففازلنا عنها الشماثل والشكل

## أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء  
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته  
وعبقريته علماء ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،  
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام  
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان ~~المتنبي~~ ~~المتنبي~~ ، وسمّاه « عيث الوليد » وديوان  
المتنبي ، وسمّاه معجز أحد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم  
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الاختصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .  
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا  
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرهما ، والله أعلم .

## « أمثال المتنبي وحكمه »

---

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع  
من هذا الديوان



## قافية الحمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (\*) :-

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ      وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ <sup>(١)</sup>  
فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِيْنِكَ فِي الْهَوَى      قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً      إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ <sup>(٣)</sup>

(\*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يَا لَأَيْبَى كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي      أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ  
إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ      وَأَعِنِّهِ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ  
حَتَّى يُقَالَ بَأَنَّكَ الْخَلْلُ الَّذِي      يُرْجَى لِشِدْقِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ  
أَوْ لَا ، فَدَعُهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ      طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصْحَائِهِ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَاضِلِي      فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ  
الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهِهِ      وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدرى منك أيها اللأم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتمس شفاؤه في البكاء ويأمر الجفن به \* وإن شفاؤى عبء مهراقة \* والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تمصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللأم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعِ مَا بَرَآكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)  
مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)  
إِنَّ الْمَعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْسُ لَنِي اللَّوَمُ  
وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيه ، فلا يجمع بينه وبين حبه إياه ، أى أنه لا يصنى اللوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو النمام ، لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول : ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانها ، والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانها كان عن تركه أعجز . يعنى : إني وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أننى لا أتركه .

(٢) الحل والحليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود بقلبه وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شيء فيود ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود بقلبي . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِّى وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذلك كما يسوؤه وكان أجدر فى إعاقته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَقُّفًا فَالْسَّعْ مِنْ أَعْضَائِهِ <sup>(١)</sup>  
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ <sup>(٢)</sup>

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفَتْهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ <sup>(١)</sup> قَائِدًا  
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى العاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذكها كالنوم فى لذائذه فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الآيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوله من صدر البيت فلم يبق له دخل فيما يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامة وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكور لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالا

لَا تَعْمُدُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ      حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ <sup>(١)</sup>  
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ      مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
 وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَمُذِّبُ قُرْبَهُ      لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوَائِهِ <sup>(٣)</sup>  
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّيْفِ الْحَزِينَ فَدَيْتُهُ      مِمَّا بِهِ لَا غَزْرَتُهُ بِفِدَائِهِ <sup>(٤)</sup>  
 وَفَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعُمَيُونِ فَإِنَّهُ      مَا لَا يَزُولُ بَيَاسُهُ وَسَخَائِهِ <sup>(٥)</sup>

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . و يروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى .

إذا شئت أن لا تعمد الدهر عاشقاً      على كمدٍ من لوعة التين فأعشقي  
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذي امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برج الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .  
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من



يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فَوَائِدِهِ وَعَرَائِهِ <sup>(١)</sup>  
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَابِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
 فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ <sup>(٣)</sup>  
 مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنِدِهِ وَوَفَائِهِ <sup>(٤)</sup>

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد يد أن الهوى أَلطف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجمله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلّد يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلّم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فوائده والعزاء سبيلًا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْمَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَرْكَانًا  
 (٢) النوايب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وخفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَقَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَقَمَّيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
 (٤) ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيف سميحاً ، أى مثل سميحها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للمدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

\* تظن سيوف الهند أصلك أصلها \*

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ<sup>(١)</sup>  
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ<sup>(٢)</sup>

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيثم بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمع عذل وعذل ، والتائه التحير وسوداء القلب وسويداؤه الحلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَافَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يقيه على عذلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبرى : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح<sup>(١)</sup> لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ٧١ جنس والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاقتدينا بفعلهما والقوافي خمس يجمعها مكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تنقية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومتادف ، فالتكاوس<sup>(١)</sup> أربع حركات بين ساكنين كقوله .

\* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ \*<sup>(٢)</sup>

والتدارك<sup>(٣)</sup> حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب<sup>(٤)</sup> ثلاث حركات بين ساكنين كقول المتنبي :

\* بِمِ التَّعَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ \*

والتواتر<sup>(٥)</sup> حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى المتنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للعجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع العجاج في هذا بين التمديد واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهى متفاعلتين ومستعملتين ومتفاعلتين وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنةسمى بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية نالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهى مفاعلتين ومفتعلتين وفعلن لأن فى فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو فى فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسر الصناعات ليس فيها تواتر  
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو التَّلَامُ إِلَى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ<sup>(١)</sup>  
وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ<sup>(٢)</sup>

\* صَلََةُ الْمَجْرِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ \*

والمترادف<sup>(١)</sup> اجتماع ما كنين كقوله - أى المتنبي :-

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشْوَرَةُ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من العكبرى لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها المتنبي باديةً ذى بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذى تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذى توركه بعضهم على المتنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرءاء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برءاء بارحاً أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرءاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبى إلى اللوائيم كأنه يقول لمن : لا تبغثنى إليه لآنى أخشى برءاء قلبه وإذا لئننى أعرض اللوم عن قلبى خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير فى حره وبرءاءه للقلب فى البيت السابق . وليس يخفى ما فى هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء فى بمهجتي للتفدية ، والملك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتي خبراً مقدماً والملك مبتدأ ولك أن تجعل الملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلى يا من يعدلنى فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع فى آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعالان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفول ، سمي بذلك لأن غالب العادة فى أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلاً أو خروجاً فلما اجتمع فى هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنْ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ      مَلَكَ الزَّمَانِ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ <sup>(١)</sup>  
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ      قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
 أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ      مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ <sup>(٣)</sup>  
 مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ      وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنْ عَنْ نُظْرَائِهِ <sup>(٤)</sup>

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلي لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعاذلي ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسيب إلى اللديح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالسماء الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائيه ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائيه ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فإن الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا الغلو ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَوْهُ ، وغزوا الهجاء إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَايَ      وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لَمَانِي <sup>(١)</sup>  
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلِيٍّ      بِأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>  
وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا      وَأَمْضِي فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا أُرْبِتُ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي      فَكَيْفَ مَلَّتْ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَحِي      فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ <sup>(٥)</sup>  
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ      أَيْعَمِّي الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ <sup>(٦)</sup>

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتُنْكِرُ مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المهوم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضي معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتخذ فيها تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، وملت سئمت . يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أنى بتعرضي لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستقامتها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعلك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعنى العالمون عن الضياء .

تَطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً      جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي<sup>(١)</sup>  
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ      كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي      فَتَعْدِلَ بِي أَقْلَ مِنْ الْهَبَاءِ<sup>(٣)</sup>

(١) مرة لغة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهمتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوهم مثلي لأنني فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لي لأنني أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعاية جعلت وصفا لمرة وهو نكرة على تقدير محذوف ، أي مستحق لأن أسأل الله أن يحطني فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْأَلُ بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبُطُ      حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطُ<sup>(\*)</sup>

\* جَاءُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ \*

أي جاءوا بضيق يقول : من رآه هل رأيت الذنب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجي نفسه خبر مقدم ، والهرأ الكلام الساقط الذي لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ      رَخِيمُ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا تَزُرُّ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن تراني مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على تراني وأقل صفة لموصوف محذوف أي شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق الغبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّيَ الْمَدَى وَأَذَابَنِي      صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أُنْسِي

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا      يَبِينُ هَبَاءُ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

يقول : من العجب أن تراني وتعرفني ثم تسوى بيني وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

\* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنا<sup>(١)</sup>

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف (\*)

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر للوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(\*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له مالمخصه « هذه القصيدة تنبئنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فدحه بقصيدتين أحدهما هذه المزمية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

وللمزمية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يمدح فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بتداهب التصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفقي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريبا أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسلم عن فرحته وابتهاج نفسه بالنقطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليمية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ



قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ<sup>(١)</sup>

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أبنوا أن تزورين ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذا ذاك تقتضين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المكوك :

بَابِي مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعَا  
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعَا  
رَصَدَ الْخُلُوعَ حَتَّى أُمَكَّنْتُ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا  
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وافتضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنِ كَيْتَمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا  
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلَشِيئًا وَجَرَسُ الْخَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيًا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِقِ  
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَنْبَرِ الْعَبْقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءِ<sup>(١)</sup>  
وَشَكَيْتَنِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ<sup>(٢)</sup>

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ  
هذا وقد قال ابن فوزه : الهتك مصدر متعد ولو اتى بمصدر لازم بأن قال  
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهى مسك زيادة  
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذى استعملته بل جعل المسك  
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس :

\* وجدت بها طيبا وإن لم تَطَيِّبِ \*

وقول الآخر :

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثَا شَمٌّ فَاحَا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب ليلتنا إنه واش إذا سطعا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره  
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب العشق عقله وأذهله . يقول : إننى آسف على أن  
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى : إننى أحزن لذهاب  
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك  
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول : إنه كان يتأسف على زمان وصالحها فلما أمعت فى  
الهجر ذهب له حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك  
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم  
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت  
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا  
المعنى أوضحه البسى بقوله :

ولو أبى فراقك لى فؤاداً وَجَفْنَا كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ مُسَاهِدِى  
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَفْنِ كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

مَثَلَتْ عَيْنَكَ فِي حَشَاىَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاهُ (١)  
تَفَذَّتْ عَلَى السَّابِرِىِّ وَرُبَّمَا تَنْدَقُ فِيهِ الصَّفْدَةُ السَّمْرَاهُ (٢)  
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِى إِذَا مَارُوحَتِ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّى الْجُوزَاهُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المذاهب المتصوفة ومن ثم تراه يهيج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهها حملاً على المعنى كأنه قال فتشابه الأمان كما قال .

إن الساحة والمروءة ضمناً قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ  
ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجله الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبى مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .  
(٢) تفذت أى العين والسابرى الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لَجَاءَتْ بِسَجِّ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِىٌّ مُشْبِقُ

والصعدة القناة التى تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابرى الدوع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبى فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابرى الثياب يكون المعنى أن عينك تفذت إلى قلبى فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى السكاني من الشجاعة والشجاع موقٍ والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلاً فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يقدر على إزالتي عن موضعى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطاردي فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولده فيها البراعة والنطق .

« مشبِقٌ » : هجرته

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِّيَاً<sup>(١)</sup>  
شِمُّ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) النبي : الغافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأننا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأننا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَرَّتْ فَمَا تَخْنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا<sup>(١)</sup>

(٢) صدرى يريد أصدرى ، لحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناأتى وتجلى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفعل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسمو بك الفرعان من مضرا  
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت  
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحداً  
المستعمل بعد النفي فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَّيتُ نُسَيْدُ مُسَيْدًا فِي نَيْبِهَا إِسَادَهَا فِي التَّمَهَةِ الْإِنْضَاءُ<sup>(١)</sup>  
أَنْسَاعُهَا تَمْقُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ<sup>(٢)</sup>

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفنى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضن بمنثلها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدرى أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاكى أم البيداء ؟ أى لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قل الواحدى : والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللبالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .  
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد  
وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب  
(١) الإسَاد إيمان السير أو سير الليل خاصة والنبي الشحم والسمن والإنضاء مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمه الصحراء ومشددا حال من ضمير تشدد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسَادها مفعول مطلق عامله مشددا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشدد مشددا الإنضاء في نها إسَادها مثل إسَادها في المهمه يقول : تبئت ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَتِ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرِّوْضِ يَنْهَلُ سَابِكُهُ  
(٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمفط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحة أى مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستمرار النكاح لوطئها الأرض وإدناء الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تقتض . ومن طريق ما ذكره الصراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومذوّلت إلى هذا البيت : سألتى لللك الكامل أبو العالى محمد بن أبي بكر (١٠ - التثني ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحَرِبَاءُ<sup>(١)</sup>  
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ<sup>(٢)</sup>  
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ بَقَطْمِهَا وَهُوَ الشَّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ<sup>(٣)</sup>

ابن أيوب ملك البدار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء  
 قُطِلَتْ لَه : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له  
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر  
 ويعرفه القاصد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحرير الدليل سمى خريتا لاهتدائه في الطرق الخفية كخريت الإبرة كأنه  
 يعرف كل حجب في الصحراء ، والتوى الهلاك ، والهرباء دوية على شكل سام أبرص  
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مغططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف  
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل  
 فيها خوف الهلاك كما يتلون الهرباء ويتغير لونه فهو يدور بينا وشمالا لطلب الطريق  
 وفي هذا المعنى يقول هدية :

يظل بها الهادي يقلب طرفه من المول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الطرماح :

إذا اجابها الحرير قال لنفسه أذاك برحلى حائن بعد حائن

(٢) شم الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت  
 للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول  
 ذي الرمة :

وَمَحْتِ الْعَوَالِ وَالْقَنَا مُسْتَظَلَّةً ظِلَاءُ أَعَارِسِهَا الْعُيُونُ الْجَادِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شم الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من  
 الجبل والباء في بقطمها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطمها أو كيف الظن  
 مثلا : وكيف استهأمت في المعنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ الثَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ<sup>(١)</sup>  
وَكَذَا الْكَرِيمِ إِذَا أَقَامَ بَيْلَةً . سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ<sup>(٢)</sup>  
جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَّبِعْصِي الْأَنْوَاهُ<sup>(٣)</sup>

يقول : وكذلك يني وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء  
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟ !

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير  
في بها للعقاب والضمير في كأنها للثلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أى  
التشبيه ، يقول : إن الثلوج في هذه الجبال أخفت على طرقى فلم أهد لكثرة بياضها  
فكأنها اسودت اسوداد الليل إذ ضلت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن  
كما ترى .

(٢) النضار الذهب ، والنضار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى  
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يابض الثلوج يعنى قفام مقام السواد ، والبياض إذا  
عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك الكريم إذا أقام بيلة قضت العادة فيكون  
الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعما قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :  
إن الكريم إذا أقام بيلة أعطى المال وتحرق في الكرم حتى لكان المال ماء سائل  
فما رأى للماء هذا السكرم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بدیع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهت وتتبعس على التنازع  
ولاعل ترى يهود على اقطار ، ويروى بدل ترى رأى : أى اقطار ولكن ترى أحسن  
لأن اقطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهت  
دهشت وتحيرت ، وتتبعس تنفجر ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع  
وقبه من الشرق وهى منازل اشمس والغرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء  
كذا . ويريد بجمود القطار الثلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح  
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تنفجر فلم تأت بمطر استظلما لما  
يأتيه وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٍ حَتَّى كَانَ مِدَادُهُ الْأَهْوَاءَ <sup>(١)</sup>  
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَانَ مَغْنَبِيهِ الْأَقْدَاءَ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءَ <sup>(٣)</sup>  
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَائِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَا ذَنْهُ إِصْفَاءَ <sup>(٤)</sup>  
وإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيُلْقَى شَهْبَاءَ <sup>(٥)</sup>

(١) المداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به واقتناءً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجوّد يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقاعنن إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن اناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهافتون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتبة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرج بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيبته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذى خبر ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذى يهتدى فى الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه فى القول حتى يفعل هو ضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفاله من للكارم والسامع العظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضها أى يتبعه أو تسمية للسكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالى فهو لا ينفك عن الإصفاء جبا للشعر وارتياحا إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أى جمعه واقتناه من مال والفيلق الكنية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى تلب نياضها على سوادها ، يعنى صافية الحديد ، يقول : وللقوائى كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت كنية تنهب ما احتواه .



مَنْ يَظْلِمُ الْوُثَمَاءَ فِي تَكْلِيْفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ<sup>(١)</sup>  
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَيَضِدُّهَا تَقْبِيْنُ الْأَشْيَاءِ<sup>(٢)</sup>

(١) من بمعنى الذى خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الذى يظلم الخ. والثلثم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرّون على ذلك فكأنه ظلمهم ، إذ كلّفهم أن يمثّلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس فى هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ فى المدح أن يقول : السكراء بدل الوثماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من الوثماء ولا يقدرّون أن يكونوا ، مثله بما لا يليق بذهبه فى إشارته البالغة. وروى الخوارزمى نظم بالنون ، وقال : إذا كلّفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلّمناهم فى تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمى فى روايته البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتن : ونحن نذم اللثام ولولاهم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأصدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَتْ صِرْنَ مِلَاحًا  
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ يَهْجُرَ أُنْ  
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا  
وقال :

سَمَّجَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا مَا حَسَلْنَا مِنْ تَفْصِيرٍ وَجَمَالٍ  
وَكَذَلِكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالٍ  
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَاقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبَ  
وَحُسْنَ دَرَارِي السَّكَاكِ أَنْ تَرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنْهَبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَهُ      فِي تَرْكِهِ لَوْ تَقَطَّنُ الْأَعْدَاءُ <sup>(١)</sup>  
 فَالْسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ      بِنَوَالِهِ مَا تَجِبُرُ الْهَيْجَاءُ <sup>(٢)</sup>  
 يُعْطَى فَنَعْمَتِي مِنْ لَهْيِ يَدِهِ اللَّهُي      وَتُرَى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ <sup>(٣)</sup>  
 مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى      فَكَأَنَّهُ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ <sup>(٤)</sup>

يبد أن التنبي صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه (١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن أعداؤه لهذا منه لسألوه فتسبوا إلى مضرتهم .

(٢) السلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استغاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر      أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القضة من الجبوب يلقيها الطاحن في فم الرحي فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفضاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُنْقَرٍ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ      وَعَلَى الْأُذُنَيْنِ حُلٌّ كَالسَّل

« منقر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ      عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

وَكَاثَهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ      مُمْتَلَأًا لَوْفُودِهِ مَا شَاءُوا<sup>(١)</sup>  
يَا أَيُّهَا الْمَجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ      إِذَا لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاةُ<sup>(٢)</sup>  
أَحْمَدُ عُنَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ      فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَائِهِ<sup>(٣)</sup>  
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قَلَّةِ      إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ<sup>(٤)</sup>

وأخذه السيب بن علس قال :

هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلُهُمْ      وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ  
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها      ميامين للأدنى لأعدائكم نكد  
(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كان ، وممتلأ منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وحملهم على الحمد حال تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .  
(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء ، يقول يأمن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير روحه      لجلد بها فليتنق الله سائله  
(٣) هذا البيت إتمام معنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فجعت بفقدهم دعاء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : انكسر هذا لعفاتك لا أجفك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فجعت بخمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك .

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بفضبك وتلك أيام فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى بقتله أيام وأن الأحياء إذا شقيت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقولون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحَنَاءُ<sup>(١)</sup>  
لَمْ تُسَمَّ بِأَهْرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَعَتْ وَتَارَعَتْ اِسْمُكَ الْأَسْمَاءُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَدَوْتَ وَاسْمُكَ فَبِكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ<sup>(٣)</sup>

موت منهم وإما لأن اللب يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك  
أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات المدوح ، يقول : إنك نعمة على  
الأحياء وفقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ  
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ  
ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلِكَ هَلْكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمًا  
ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فانت كثير فى  
القدر والشرف

(١) الشحنة العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك  
فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشقق قلبه فمات خوفا  
وجزعا ، وقال الواحدى تعليقاً على ابن جنى : ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من  
الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشقق قلبه فإذا أضمر لك العداوة  
انشقق قلبه وبأن أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمرك القلب أمراً يتصدع به  
وينشقق حتى تحل عداوتك فيه . فإذا جلت ضائق بها وانشقق عنها لشدة ما ناله من  
الحزف والجزع .

(٢) اقترعت تسامعت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به  
افتخاراً بك وتشرفاً فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمعري : أراد  
بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشاوك . أى لم يشارك اسمك فيك  
اسماً آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى ماله سواء قد تساوا  
فى الأخذ منك لا تخص أحداً دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره ، وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْهَدْنُ مِنْكَ مِلَاءً      وَلَقَّتْ حَتَّى ذَا النِّسَاءِ لِقَاءً<sup>(١)</sup>  
وَجَلَدَتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا      لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءً<sup>(٢)</sup>  
أَبْدَأَتْ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ      وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكِرَ الْإِبْدَاءَ<sup>(٣)</sup>  
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ      وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءً<sup>(٤)</sup>  
فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُخَوِّجٌ      وَإِذَا كُنِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ<sup>(٥)</sup>

المعري : يريد بالاسم انصبت أى لم يتركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد طهر اسمه فى اناس أى صيته قد كره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللغاء الحقير الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء اثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء بعد حقيرا فى جانب ما تستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تحول عن آخره حين تاهت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣ ابدأت أحدثت وجددت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يبدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتيت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير ، وبراء برىء يقع على الجمع والواحد والذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل القيمة والمراد هنا دلت ، والآلاء انعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِسَانٍ رَفَعَهُ  
لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِنَفْسٍ مُجِدِّبٍ  
يُسْقِي الْخَصِيبُ وَيُمْطِرُ الدَّامَاءُ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ تَحْكُ نَافِلَةَ السَّحَابِ وَإِنَّمَا  
حَمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرُّحَضَاءُ<sup>(٣)</sup>

حييت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن فلك  
لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام  
ما زلتُ مُنتظراً أُعْجوبة زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُوءَ الْإِيجَابِ شَرَفًا  
وَإِذَا كُتِمْتُ أَيْ حَيِّتُ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ دَلَّتْ عَلَيْكَ نَعْمَكَ وَصَنَائِعَكَ قَصْدُ  
إِلَيْكَ الْعَفَاةِ كَمَا قَالَ :

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْ نَاضِرٍ  
(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان . وإن شئت قلت مقابلة  
النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه  
موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ ومؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد  
بلغت من الرفعة غاية لا يزيد لها مدح مادم ولكن تمدح لتعجز العفاة وليعد الشاعر في  
جملة مداحك كلشاكركم الله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه  
محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المثل ضد الحصب . والدَّامَاءُ البحر على فعلاء قال الأفوه الأودي  
وَاللَّيْلُ كَالدَّامَاءِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْ نَا كُلُّونِ السُّدُوسِ<sup>(١)</sup>  
يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يطر المكان الخصب  
والبحر وما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول اللحي

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالُهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ  
(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب  
جمع الجمع قال تعالى . «حق إذا أقلت سحاباً ثقالاً» والرحضاء العرق أثر الحمى يقول :  
ليست تحكي السحاب بمائها عظامك للتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت  
حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا      إِلَّا يَوْجُهُ لَبَسَ فِيهِ حَيَاةُ<sup>(١)</sup>  
 فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَمِيتَ إِلَى التَّصَلَا      أَدُمُ الْهَلَالِ لِأَخْمَصِيكَ حِذَاءُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةُ      وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ<sup>(٣)</sup>  
 لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ      عَقِمْتَ بِمَوْلِدِ تَسْلِيمِهَا حَوَاءُ<sup>(٤)</sup>

إن السحابَ لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ فقاسَتهُ بما فيها  
 قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها  
 بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزُّنُ مَا تُغْطِي فَصَمَّ عَلَى الْأَمَى      فَوَادَا كَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ  
 (١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة  
 وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخمس باطن القدم ومارق من  
 أسفلها وتحافى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فبأيما قدم .  
 استقمام مضاء التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ  
 أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ  
 تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعو له ، يقول : ليسكن الزمان وقاية لك من عواديهِ أَى  
 لِمَ لَكَ الزَّمَانُ بِهَا دُونَكَ وَلِمَتِ الْمَوْتُ فِدَاءُ لَكَ مِنْ نَفْسِهِ . وكل هذا كما ترى مبالغة  
 في الدعاء .

(٤) اللذ : لفة في الدى وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لفة ، والعقم عدم الولد  
 يقول : لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله  
 لكنت حواء في حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشرط الأول  
 ردى . ولكن الثانى جميل على أنه يلاحظ أن التنبى يخاطب - كما أسلفنا - رجلا يذهب  
 مذهب الصوفية .

وغنى الغنى في دار الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفْنِي بَاخِرَ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ <sup>(١)</sup>

شَغَلَتْ قَلْبِي بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْفَنَاءِ <sup>(٢)</sup>

وبنى كافور داراً يازاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدِّي مِنْ الْبَعْدَاءِ <sup>(٣)</sup>

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِي عَضْوُ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ <sup>(٤)</sup>

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيارَ وَلَوْ كَأَن نَجُومًا آجُرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ <sup>(٥)</sup>

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَسْوَاحِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيَاضِ <sup>(٦)</sup>

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِي بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ <sup>(٧)</sup>

(١) و (٢) الاستهتام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا المغمض لأن قلبى وجوارحى مشتتة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا الغنى

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقترب ، وأنا منك مبتدا وخبر ، ولا يهني عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهني الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتكرت في ذلك جميع أعضائه فلم يهني بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التفتى يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع المدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتدا محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويخر . من خرير الماء . يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهني ، في موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهني



وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا يَنْسَرَحُ بَيْنَ الْقُبَرَاءِ وَالْخَضِرَاءِ<sup>(١)</sup>  
وَبَتَائِنُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَخْلِلُ مِنْ سَمَهِرَةٍ سَمَاءِ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْكِ بِمَا يَبْتَغِي مِنَ الْعَلِيَاءِ<sup>(٣)</sup>  
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخْتَ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ<sup>(٤)</sup>  
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْيَبِ عَنْ لَهْ فِي جَوَاجِمِ الْأَعْدَاءِ<sup>(٥)</sup>  
وَبِمِسْكَ يَكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّشَاءِ<sup>(٦)</sup>  
لَا بِمَا يَبْتَغِي الْخَوَاضِرُ فِي الرَّيِّ فِ مِ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ<sup>(٧)</sup>

(١) و (٢) القبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت القبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . والسمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بسائينك . جل الرماح على الخيل كالجل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غفره بما يبتغي من العلياء ، لا بما يبتغي من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجُرِّ وَالطَّيْنِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتغي ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وأنسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غر أبي المسك بما يبتغي من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياءه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتغي . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربيج فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب النشاء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتغي الخواضر . أي أهل الخواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ <sup>(١)</sup>  
 حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرِّيحِ مِنْهَا مَنْبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ <sup>(٢)</sup>  
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بِشْفَى مُنِيرَةٍ سَوْدَلَهُ <sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَفَضِيكَ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءٍ <sup>(٤)</sup>  
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ <sup>(٥)</sup>

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . وطبي . يستعمل . قال كثير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَشَطَّ الْجَالِسُ شَمْتٌ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل يسكون العين مؤتة ؛  
 ولكن كثيرا فتحها لا افتتاح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إقبال » يقول المتنبي :  
 إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العليا وقتل الأعسداء وطيب التناء ، لا بما  
 يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستعمل قلوب النساء

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه  
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفة ونورا ، فسكانك أنزلت الدار  
 في دار أجل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحان جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من  
 أنواع المشوم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول ط' عها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق  
 فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس  
 ذكرآ . أو يريد . تناء من العيوب ، ويقال للشهور : منير ولتنق من العيوب منير ؛  
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بأنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته وتقاؤه عما يلج به . وأن  
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو زرى : أى يستهين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المولى  
 عليه يياض النفس وتقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن  
 الحساس :

كِرْمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَرَ  
مَنْ لَبِىضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْنُ  
فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا  
يَا رَجَاءَ الْعَمُونَ فِي كُلِّ أَرْضٍ  
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْسِلِي  
فَازِمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي  
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا  
فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَقَاءٍ<sup>(١)</sup>  
نَ بَلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ<sup>(٢)</sup>  
نَ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ<sup>(٣)</sup>  
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي  
قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي<sup>(٤)</sup>  
أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاهِ<sup>(٥)</sup>  
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ<sup>(٦)</sup>

إن كنت عبداً فنفسى حرة كرمياً أن أسود اللون إني أبيض الخلق  
(١) أى لك كرم في شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكى الطبع ، بهى  
المنظر ، فوقدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .  
(٢) و (٣) السحناء : السحنة أى المنظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين  
كطير وأطياف ؛ وفى أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان  
يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحنتهم بسحتك ليرام أهل الحرب بالعينون التى  
برونك بها وذلك أن الأسود مهيبة في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من  
يكفل لهم هذه الأمنية ؟  
(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وصيت مغارة على سبيل المثال بالسلامة كما  
قيل للديع سليم . يقول : لقد أفنت المفاوز — التى جبتها إليك — خيلى وزادى  
ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة جيدة :  
(٥) و (٦) الرواه : المنظر والشارة . يقول : استكفنى ما شئت من أى أمر  
عظيم تقذف بى إليه فإن قلبى قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد  
الملوك عزماء ورأيا ودهاء وإن كان لسانى لسان شاعر . قيل : إن أبا الطيب يقصد بهذا  
التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا : إنه لما أنشد هذه القصيدة أقسم له أن  
يلقنه ما فى نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهبجو كافورا :  
 أَلَا كُلُّ مَاثِيَةٍ الْخَيْرَ لِي      فِدَا كُلِّ مَاثِيَةٍ الْهَيْذَلِي <sup>(١)</sup>  
 وَكُلُّ نَجَاةٍ بِجَاوِيَةٍ      خُوفٍ وَمَا بِي حُسْنُ الْمَشَى <sup>(٢)</sup>

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وثقل وتفكك ، قال الفرزدق :  
 حَوَارِيَّةٌ تَمْشِي الصُّحَى مُرَجَّحَةً      وَتَمْشِي الْعَشَى الْخَيْرَ لِي رِخْوَةً الْيَدِ <sup>(١)</sup>  
 والهيذي : ضرب من مشى الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا  
 أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيذي : يريد أنه ليس  
 من أهل الغزل والعشق والتشبيب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولها  
 بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

بَرَى بِالسَّكَابِ الرُّودِ طَلْمَةً نَائِرٍ      وَبِالْعَرِمِ الْوَجَاءِ غُرَّةً آيِبٍ <sup>(٢)</sup>  
 (٢) وكل : عطف على كل ماثية الهيذي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها  
 قالوا : ولا يوصف بذلك البعير . وبجاية : منسوبة إلى بجاية وهي أرض بالنوبة تعرف  
 نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرناخ :  
 بِجَاوِيَةٌ لَمْ تُسْتَدَرْ حَوْلَ مَشِيرٍ      وَلَمْ يَتَخَوَّنْ دَرَّهَا ضَبُّ آفِنٍ <sup>(٣)</sup>

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحة : يريد سميكة ثقيلة فإذا مشت  
 تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ  
 إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام  
 (٢) السكاب : الجارية الناهد : والرود : الشابة الحسنة الشباب ، والعريس : الناقة  
 الصلبة ، والوجاء : الناقة العظيمة الوجنتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة  
 وأكثر ما يقال في الإبل : ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر وتتخون : تنقص ، والآفن :  
 الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والمثبر  
 اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا : وكان أهل بجاية هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنمطف معهم كلما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنمطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن المتنبي قال : يرى الرجل من أهل بجاية بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .

ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خوف قال الأعشى :

وَأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّفْيَ وَرَاجَعَتْ  
بِدَاهَا خِنَافًا كَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا<sup>(١)</sup>

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أُنْفَه من الزمام ، والخناف الذي يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي  
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَافٍ فِي الْبَرَى<sup>(٢)</sup>

والخنف من الإبل اللينة اليدين في السير وللشي جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشي النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعي وميلي إلى كل ناقة خفيفة المشي ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن للشي كلالاستدراك على قوله خوف أي لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيتها لأنني لست أنظر إلى حسن المشي ولكني أستمع بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالي .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقل أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير واغلت الدابة في سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حَبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى<sup>(١)</sup>  
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيَامًا لِهَذَا وَإِمَامًا لِهَذَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا فَرَعْتُ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَيَيْضُ السُّيُوفِ وَسُمُرُ الْقَنَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى<sup>(٤)</sup>  
 وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنَّقَا بِي وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى<sup>(٥)</sup>

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها انفلة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهم وهو لا يدرى ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انقار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله ييض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيف والرمح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظم .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَينَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتَرْبَانَ هَا<sup>(١)</sup>  
وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدُّبُو رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا<sup>(٢)</sup>  
رَوَاىِ السِّكْفَافِ وَكَبَدَ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُيُورَةِ وَادَى الْغَضَى<sup>(٣)</sup>  
وَجَابَتْ بِسَيْطَةِ جَوْبِ الرِّدَا ءَ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا<sup>(٤)</sup>

في التخيير تأويلان : أحدها أن الهوادي من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثاني : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

\* يشكوا إلى جلى طول الشرى \*

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشتكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقلنا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه : أى دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة المتراصة ليست في نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جني : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أى الإبل ، يريد نشطت في سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من المغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت في هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) رواى : أى قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الباء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادي الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادي الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناس ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَتْ      بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى <sup>(١)</sup>  
وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحُ      وَلَا حَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى <sup>(٢)</sup>  
وَمَسَى الْجُمَيْيِّ دِثْدَاؤُهَا      وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا <sup>(٣)</sup>  
فَيَا لَكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ      أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصُّوَى <sup>(٤)</sup>  
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ      وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى <sup>(٥)</sup>

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيَا      صَدَاىَ وَإِنْ رَوَّى غَلِيلَ الرَّاكِبِ  
والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت  
عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو  
الجرى ، والشغور : موضع بالسبوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :  
إذا وردت شغوراً فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذا لم  
يكن لها من يحمها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى العية ، وإما مرفوعان  
على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها  
الشغور مع وقت الضحي .

(٣) الجميى والأضارع والدنا : مواضع . والدثداء : سير سريع أرفع من الحجب  
يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميى ، وفي الغداة بلغ الأضارع والدنا .  
(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخفي : صفتان لليل ، وليلا تميز ؛  
وبالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في  
الطريق ليتهدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد  
وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز في الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا  
صدر الليل لقوله : وباقية أكثر ؛ والضمير في الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان  
صدر الليل وباقية أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهمه



فَلَمَّا أَتَيْنَا رَكْرَكْنَا الرُّمَّا حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَا<sup>(١)</sup>  
وَبِتْنَا مُقْبِلُ أَسْيَافِنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا<sup>(٢)</sup>  
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى<sup>(٣)</sup>  
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا<sup>(٤)</sup>  
وَمَا سَأَلَ مِنْ قَالٍ قَوْلًا وَفَى وَلَا كَلَّ مِنْ سِيمٍ خَسَفًا أَبَى<sup>(٥)</sup>

ماء وسط أعكش : أي وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثاني كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثاني الذي كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربه وبقي ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير في باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى في الكوفة وأنحنا ركابنا بها وركرنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا في الطريق وظفرونا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا قبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا ثبنا ، أي رجنا قبل الح .  
(٣) لتعلم مصر : أي أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهي من حلب إلى حماه . وآل في الفتى للاستفراق . أي الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أي لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أي بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أي ضم كافور ؛ وعتوت . أي تجبرت على من تجبر على .

(٥) ساءه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والخسف : الضم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصْدَعُ صَمَّ الصَّفَا<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ يَكُ قَلْبُكَ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى<sup>(٢)</sup>  
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَا<sup>(٣)</sup>  
وَنَامَ الْخَوِيدُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى<sup>(٤)</sup>  
وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَبِينُنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى<sup>(٥)</sup>  
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَلَصِ أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النَّهَى<sup>(٦)</sup>  
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النَّهْمَ كُلَّهُ فِي الْخَلَصِ<sup>(٧)</sup>

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوص شداثده حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الحاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : تصغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلى الذى خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنَّكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنتى بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشئ وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَ<sup>(١)</sup>  
 بِهَا نَبِطٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَآ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَذْرُ الدَّجَى<sup>(٣)</sup>  
 وَشِعْرُهُ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدَنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّثَى<sup>(٤)</sup>

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الخصى ، فإنه لما خصى ذهب عقله وحمق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبتى واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْفَيْبِطُ  
 اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَاطِي بِمَدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدي : يريد بالنبتى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المادرائى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر في الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قدز نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ماهو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويفتبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة - كما في القاموس - تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، على أُنقه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى الرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَافِهِمْ قَائِمًا بِزِقٍّ رِيَّاحٍ فَلَا<sup>(٢)</sup>  
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَكَوهُ فَتَا أَوْ هَدَى<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٤)</sup>

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال<sup>(\*)</sup> :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أُبَيَّتُ قَبُولَهُ كُلُّ الْإِبَاءِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّا وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلِسَّمَاءِ<sup>(٦)</sup>

(١) قال ابن جني : إذا كانت طباعه تنافي طباع الناس كلهم سفالا ثم مدح فذلك جهولهم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافي طباعهم . وقال غيره : يعني لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه في الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح - يعني كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك مالم أراه إلا في مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أي الأصنام ، وذا : أي زق الرياح ، أي كافور

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستبجوا منه ما استحسنت ، وإنه لبلاء عظيم . .

\* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ<sup>(١)</sup>  
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاءِ<sup>(٢)</sup>  
وقال يهجو السامري<sup>(\*)</sup> :

أَسَامِرِيٌّ ضُحْكَةٌ كُلُّ رَأَى فَطِنْتُ وَأَنْتَ أَغْيَى الْأَغْيَاءِ<sup>(٣)</sup>

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرا :

(١) يقول : لما زليت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجلال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جلالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالى منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نفسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ كَأَنَّ فَتَيْتَ الْمِسْكِ فِي دُورِنَا هَبًا

وتنفس — يحذف إحدى التائين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

• أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شميم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بها .

(٣) يقول : يا سامري يا من يضحك منه كل من رأى كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغْيَى الْأَغْيَاءِ ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناء المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بناءه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ<sup>(١)</sup>  
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِتْفِي فِي هَبَاءِ<sup>(٢)</sup>

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يرونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حالك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثل أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ      والمدحُ فيكَ كما علمت جليلُ  
فلاذهبْ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ      عِرْضُ عِزَّتِكَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ

وقول الآخر :

قُلْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْى تَشَا      وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِذْ شِمَالَا  
نَجَا بكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ      حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنِّى لَا كَرُمَ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا      هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُومُ أَحَدُ  
مَاذَا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ هَاجِيَهُمْ      لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

## قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف  
بالشديين :

لَعَنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ      تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ <sup>(١)</sup>  
حَالَةً ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ      وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ <sup>(٢)</sup>

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ      وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا      وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابٍ <sup>(٤)</sup>  
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْفَوَادِي      مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطَّرَابِ <sup>(٥)</sup>  
تُقِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ      وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَاتِكَ الْعَذَابِ <sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى  
أرى سيفاً يحمل سيفاً وسحاباً يطره سحاب ، والحالة التى يحمل بها السيف ، والحسام  
الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من  
السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى  
نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا  
به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر  
لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين  
لهم كما قال البحرى :

أشرقن حتى كاد يَحْتَبِسُ الدُّجَى      وَرَطُبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ  
فجعل الصخر يكاد يجرى لينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والفوادي السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ اعْتَرَضَ الدَّمَى فَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ<sup>(١)</sup>  
فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعَيْنِ بِلَا حَرْبٍ<sup>(٢)</sup>

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب . ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والخلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحبيج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلِثُونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّحْرِ  
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامْتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْفَمْرِ  
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّتْ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ  
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ  
وأعترض : استقبل ، والدنى : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فديناك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى نادى بإسقاط حرف النداء قال الواجدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقتل الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحفظه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة



تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى  
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخَلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ <sup>(١)</sup>  
وَأَنْتَ لِمَنْعُ الْقَاتِلِ فِي الْوَعَى  
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْقَاتِلِ فِي الْحُبِّ <sup>(٢)</sup>

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرها، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؟ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش <sup>(١)</sup> إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أقبل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعَل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَتَمَّى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَ <sup>(٢)</sup>  
فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلاً نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .  
<sup>(١)</sup> الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاماً تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب \* وكل ما يفعل المحبوب محبوب \*  
<sup>(٢)</sup> يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن شمس في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

<sup>(١)</sup> يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش أوائلها وهي هوداياها  
<sup>(٢)</sup> القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

هذا ينظر للاستدراك  
في حاشية

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْخُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّغْبِ <sup>(١)</sup>

« وقال يعزیه عن عبده يماك التركی وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة » :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأَخُذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ <sup>(٢)</sup>

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِیُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ <sup>(٣)</sup>

كَمْ مِنْ دَمٍ يَفْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ إِذَا بَانُوا تَحَكَّمُ فِيهِ الْعِرْمَسُ الْأَجْدُ

« جيش لهام: كثير يلتم كل شيء ، والعرمى الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم الهمزة والجریم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله . الأمير فإن حزنه يستتبع حزني أشاركتي إياه في أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل . ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق - في غير موضعه . ويجوز في يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جني وعليها مضيئنا ، وفي رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكاك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكي بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفي البيت حذف لا يخفى ، فهو من قيل \* علقها تبنًا وماء باردا \* قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء في بعيون للتعدية أى أبكأها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُونَا إِذْ حَزَيْتُمْ غَيْرُ أَنْصَافٍ

وَأَمَّا وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ  
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُحُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْعَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الدفين المدفون ، وحبیب حبیبی مبتدأ مؤخر ، وحبیب إلى قلبی خبر مقدم ،  
والجمله خبر إنی يقول : إنی أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبیبا  
إلى قلبی وإن كان غریبا منی .

(٢) يقول : لقد سبقنا غیرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا  
لنصت بنا الدنيا وضائق علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والهجاء لشدة الزحام  
وإنما يستقیم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجئته مصدر جاء یجىء مجیئا  
وجئته وكذلك الذهوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلی  
عنها الميت تخلی السلوب ؛ وعبارة الواحدی : يريد بالآتی الوارث بعد الموت وبالماضی  
الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب  
سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العکبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديکم  
أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت  
كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم یکن لهذه المعانى فضل وذلك أن  
الناس لو أمّنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أیقن الخلود فلا خوف  
عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا یحمد على شجاعته ، وكذلك لا فضل للعباد على  
البخیل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال  
فيه من عسر إلى یسر ومن شدة إلى رخاء ما یسکن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ      حَيَاةِ أَمْرِي خَاتَتُهُ بَعْدَ مَشِيبِ<sup>(١)</sup>  
لَأَبْنَى يَمَّاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةٍ      إِلَى كُلِّ تَرْكِي الثُّجَارِ جَلِيبِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِ      وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَمِيقٍ بِبِنَجِيبِ<sup>(٣)</sup>  
لَيْنٍ ظَهَرَتْ فِيْنَا عَلَيْهِ كَاَبَةٌ      لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضُلِ      وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبِ<sup>(٥)</sup>

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول :  
إن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوطاها له  
تلك التي تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفي لذة العيش  
ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغترم الشباب  
لقلة الوفاء فإذا أبتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو  
تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف  
الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى  
يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك  
ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه  
في الصورة يشبهه في اليمين والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول  
في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون بيباض الوجوه وضيق الجفون  
ثم قل : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيبا كالمرئي وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه  
في الصورة وإن لم يشبهوه في اليمين والنجابة .

(٤) و (٥) القضيبي السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي  
بالسهم . قال المكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب  
بسهامهم رمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رمياً ؛  
والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي  
وقت الزوال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنه عليه السيوف  
والقسي والخيل فلا عجب إذ حزننا نحن عليه . واللام في قوله لأن ظهرت لام القسم

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلَى بِمَادَّةٍ      وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ <sup>(١)</sup>  
 وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا      نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبَدَتَيْنِ أَدِيبٍ <sup>(٢)</sup>  
 فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقَ النَّفِيسَ قَدَّتَهُ      فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغْرَ وَهُوبٍ <sup>(٣)</sup>  
 كَانَ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ      إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَجَدِهِ بِعُيُوبٍ <sup>(٤)</sup>

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .  
 (٢) ذى لبدتين أى أسد واللبدة الشعر المترابك على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيته منه أمدأ وفقى أدنيا أى إنه كان جامعا بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى الناس ، وانتهاء في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمستكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجلة قعدته حال ؛ والتلاف الذى يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فإن يكن يمالك العلق النفيس قد قعدته فإنما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطأ لسيف الدولة ويكون العلق منصوبا على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله قعدته ، والتقدير ، فإن تكن قعدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم معتد . ولتراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه المودة وهى الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان السوء ونوائبه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْأَمُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذْ      مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ  
 وقول الآخر :

قد قلت حين تكاملت وغدت      أفضأله زينا من الزين  
 ما كان أحوجَ ذا الكمال إلى      عيب يوقيه من العين  
 « كان زائدة ، وذا الكمال . أى هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا      غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ<sup>(١)</sup>  
وَلَلَّتْكَ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ      إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَيْبٍ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ هَبِيدَهُ      غَنَى عَنْ اسْتِعْبَادِهِ لَغَرِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
كَفَى بِصَفَاءِ الْوَدِّ رَقًّا لِمِثْلِهِ      وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِ<sup>(٤)</sup>  
فَقَوْضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْأَجْرُ إِنَّهُ      أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ<sup>(٥)</sup>

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا فإحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم  
(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بترتيبه وتمهده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :  
أَبْدَأَ نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُحْلًا

واللام في قوله وللتك لازم الابتداء ، وريب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتاه .  
(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركى ، وخس نزار لأنه أبو القبائل الأشراف كقرش وغير قرش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائدة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللييب المائل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم يئتمه كما يئتم العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من عاك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد ثلب من الله فمضمر إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبُ<sup>(١)</sup>  
يَعَافُ خَيْسَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْئُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ<sup>(٣)</sup>  
فَرُبَّ كَثِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرٍ الدَّمْعُ غَيْرُ كَثِيبِ<sup>(٤)</sup>

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصيب كذلك ولم يقولوا عصيبة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طومت وجمعت ثم جلست فى حوية من حوايا بطنها تصب واحداها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أُولَئِكَ لَمْ يَذَرِينَ مَاسَمَكُ الْقَرْيِ وَلَا عُصْبُ فِيهَا رِثَاتُ الْعَارِسِ<sup>(١)</sup>  
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت الأمعاء نحوّر الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى اللامدة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحليم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستغلال بالحيام للتخذة من النسيج وإنما يستغل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية ناقصة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لَوْ اسْطَا عَوَا لَشَقُّوْا مَا وَّرَاءَ الْجُيُوبِ  
وجيب القصيص ما اتّمتع منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاء يلم الحزن ، قرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب بك

(١) العاريس جمع عمروس والعمروس والطمروس الحروف والصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسْبَلْ . يَفْكُرْ فِي أُنْيِكَ فَإِنَّمَا      بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بِمَدِّ قَرِيبٍ <sup>(١)</sup>  
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا      يُحْبِثُ ثَنَتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَلِبٍ <sup>(٢)</sup>

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال العكبري : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو طى  
في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ يَوْمِيكَ نَصَحَهُ      وما كلُّ مُوْتٍ نَصَحَهُ بَلِيبٍ  
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد في أبويك ، وهى لغة للعرب  
صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفى الإضافة أيك وإذا  
جمعت بالواو والتون قالوا : أبون، قال الشاعر :

فَلَسَا تَبَيَّنَ أَصْوَاقُنَا      بَكَيْنَ وَقَدَّيْنَا بِالْأَيْبِنَا <sup>(١)</sup>

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أى أيئك  
لحذف التون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير فى مصابك بأبويك فقد  
يكيت لفقدهما ثم ضحكت بعد ذلك بمدينة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيفهد  
عن قريب . وعجزة بعض الشراح : تفكر فى آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب  
كدهابهم فلا يجب الحزن . وفى معناه :

فَقَضَى لِلْسُومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي      سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَاتِّسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِنِ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ      لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

(٢) المصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ،  
ويقال بات فلان خبيت النفس : أى ثقيلها كرهه الحال وفى حديث هرقل : فأصبح  
يوما وهو خبيت النفس ، أى ثقيلها كرهه الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيت  
نفسى ، أى ثقلت وغثت كأنه كره اسم الحث وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت  
الحث ، أو تقول ثنت أى اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن فبكين إليهم وفدينهم  
بأبائهن سرورا بوفودهم عليهن .



وَالْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ      سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ<sup>(١)</sup>  
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ      فَلَمْ تَجْزِ فِي آفَاكِهِ بِغُرُوبِ<sup>(٢)</sup>  
فَذَلِكَ نَفْسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا      مُصَدَّبَةٌ فِي حَضَرِهِ وَمَغِيبِ  
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا      وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ<sup>(٣)</sup>

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز الكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول : لا بد للمحزون من سكون فلما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ عَزَاءً وَحِسْبَةً      فَتُؤْجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبِهَائِمِ

ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تَسْلُ اصْطِبَاراً وَحِسْبَةً      سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ

(٢) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر . وغروب جمع غرب وهو السمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد . قال الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : وتقدم الخطيب واضح وفي محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدا مؤخر ، وفي تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد ، وأسكن الياء من يأتي ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو . والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير . وهذا في تعب لازب لأنه يحتاج الحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .

وقال يمدحه ويذكر بناء مَرَعَشَ سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَّبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا      فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْقَرْبَا<sup>(١)</sup>  
وَكُنَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعَ لَنَا      فَوَادَا لِمِرْفَانَ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا<sup>(٢)</sup>  
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا<sup>(٣)</sup>  
نَذِمُ السَّحَابَ الْفَرْقِي فِعْلَهَا بِهِ      وَنَعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَمْتَ عَتَبَا<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ      عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا<sup>(٥)</sup>

(١) يخاطب ربّ الحبيب ويدعوه . وقوله من ربّ تميز ، ومن زائدة ، والربّ المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المربع والمربع فهو اللّوْضُ الذي ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربيع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما جئت من ذكرى الحبيب الذي كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكلغرب حين يختبئ .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأنّ المقصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم بركبانا ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربيع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زاياله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

جِيئْتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُمُورُهُ      يَوْمَ الْعَقِيقِ سَوَالَ دَمْعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ      مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالقر : أى البيض : وإنما قال القر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربيع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتنا الرسوم وفعلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربيع ولا حق

وَكَيْفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُذْ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَا<sup>(٥)</sup>  
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا<sup>(١)</sup>

لنا في هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغب بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحي إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ثم مدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحي من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعت بالوثوب ، ووثب قفز وطفز ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بدع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

والشعراء أبدأ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَى إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاحُهَا شَبَابًا<sup>(١)</sup>  
لَهَا بَشَرُ الدَّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاتُ<sup>(٢)</sup>

ليلي وليلي نفي نومي اختلافيهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلاً  
يحمودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا  
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :  
فلا تذكراً عهد التصابي فإنه تقضى ولم تشعر به ذلك المصيرُ  
وما أبدع ما يقول الرضى :

يا ليلةً كادَ من تقاصرها أن يفتخر فيها المشي بالسحر  
وقال بعضهم :

ظَلَلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الذَّبَابِ  
شبهه في القصر بنق الذباب ، ومثله لجرير :  
ويوم كأبهام القطاة مزين إلى صباهُ غالب لي بأطله  
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد  
ويقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولُ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَنْبِتْ لَيْلَةً مِمَّا  
(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى  
النفع طي للمنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفاتنة عطف على وصلا في  
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تقن عيناها ويقتل هواها إذا  
نفعت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبري :

بَلْفَظٍ لَوْ بَدَأَ لِحَلِيفٍ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شَبَابِهِ  
(٢) البشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ، والدَّرُّ اللَّالِيءُ العظام ، والشهب الدرارى  
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهي كالدر حسناً وجالاً ،  
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدراً قلد النجوم .

فَيَا شَوْقِ مَا أَتَيْتَنِي وَيَا لِي مِنَ النَّوَى      وَيَا دَمْعَ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَ مَا أَصْبَى <sup>(١)</sup>  
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتَبَهَ وَي      وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَّ <sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ      يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا <sup>(٣)</sup>

(١) ويالى : يروى ويالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبغاك فلست تنفد ويا من لى بمنعنى من ظلم الفراق ويادمنى ما أجراك ويقال لى ما أصباك وأشوقك وقد حذف كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم طى أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء للتكلم وحذف الكاف للنسوبة من أبى وأجرى وأصبى للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغناء قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغناء كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحيّر من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوجته يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى المساء أبداً فكذلك لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا لقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضُحًى وَالتَّزَامَا

وَسُلَيْمَى زَوَّدَتْنِي يَوْمَ تَوَدَّعِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعبارة الواحدى يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس منى عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لا لى إياهما .

(٣) الضواري المضرة واللولمة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشجعان وكان أباه كالأسد كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُ الْعَلَا  
أَكَانَ تَرَانَا مَا تَنَاولْتُ أُمَّ كَسْبَا<sup>(١)</sup>  
فَرُبَّ غُلَامٍ عَلمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ  
كَتَعْلِمَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلْكَةٍ  
كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالْكَفُّ وَالْقَلْبَا<sup>(٣)</sup>  
تُهَابُ سَيْوْفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ  
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا<sup>(٤)</sup>

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جني : قوله  
يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلَ وَلَدَّائِهِ      فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذي ذكر في البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالي  
الأمور فلست أبالي بعد إدراكها أكان ما يحصل في يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال  
الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أترانا كان لأن الهمة لا يليها إلا  
المسئول عنه فأخبره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعني نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له  
من يعلّمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالد الأبطال بشجاعته وحذقه ،  
ويروى \* كتعلّم سيف الدولة الدولة الضرباً \* أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال .  
والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي ، وقيل لا يكون إلا  
بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلات بطونها علفاً  
وأعجدها راعها ويقال من هذا أعجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس  
المجد كثرة المسائر والمسامي كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعنته عليه وقت به دونه ، وقد استكفاني أمره فكفيته  
وعدها هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به في أية  
 مهمة أو نازلة كفها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعدائها وكفا تضرب  
بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبري : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه  
لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها  
 فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أى تقطع بنفسها دون  
استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربي نزارى ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَخَدَهُ      فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا<sup>(١)</sup>  
وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ      فَكَيْفَ بَيْنَ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهِمْ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى      لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا<sup>(٣)</sup>  
فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا      بِهِ تُنْفِثُ الدِّيَاجَ وَالْوَشَى وَالْعَصْبَا<sup>(٤)</sup>  
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا      وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَاطِرٍ قُصْبَا<sup>(٥)</sup>  
هَنِيئًا لِأَهْلِ النَّفْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ      وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبًا<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويفشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى القوس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والخفاء ومن غيث تميز والدياج فارسى معرب وهو الثوب الذى سدها ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب الذى والجمع أqvab ؛ وفى الحديث : الذى يتخطف رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه فى النار قيل اسم للأعماء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب المطاء جزلا ويذجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأعماء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئاً وأصله ثبت رأيك هنيئاً لهم لحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئاً » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنت صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — فى حال أنك حزب الله .

وَأَنْتَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبَّيْهُ      فَإِنْ شَكَ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبًا<sup>(١)</sup>  
 فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ      وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا<sup>(٢)</sup>  
 مَرَايَاكَ تَتَرَى وَالْدَّمُستَقُ هَارِبُ      وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى<sup>(٣)</sup>  
 أَنَّى مَرَعَشًا يَسْتَفْرِبُ الْبَغْدَ مُقْبِلًا      وَأَذْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا<sup>(٤)</sup>  
 كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءُ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَّا      وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيَّتُهُ رُجْبَا<sup>(٥)</sup>

(١) وأنت عطف على وأنت حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجعه إلى غير مذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفزعت وربب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وأنت فعلت في الأرض أفصلاً أفزعت الدهر وصورفه ، فإن شك الدهر في قولى فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشئ السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفنون سرأ وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لقتان تون ولا تون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا اتى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدمستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أتى الدمستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قرياً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب جيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جِئْتُمْكُمْ زَائِرًا      إِلَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ تَطْوِي لِي  
 وَلَا أَشْنَى عَزَمِي عَنْ بَابِكُمْ      إِلَّا تَمَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاذ جينا يترك أعداءه ويخيم



وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَقُوفُهُ      صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةِ الْقَبَا<sup>(١)</sup>  
مَضَى بَعْدَ مَا تَلَفَ الرَّمَا حَانَ سَاعَةٌ      كَمَا يَتَلَقَّى الْهَذَبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَذَبَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَسِكَتُهُ وَلَّى وَلِلطَّنِّ سَوْرَةٌ      إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنَبَا<sup>(٣)</sup>  
وَخَلَّى الْمَذَارِيَّ وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقُرَى      وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَائِينَ وَالضُّلْبَا<sup>(٤)</sup>

عن اللقاع وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغم سوى الرعب : أى أن المستق عد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنمة لغيره .

(١) اللقاع تمر ميلاد الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل فى السنان إلى ثلثة والحيل للمطهمة الثامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد ؛ قال الواحدى : كان المستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرماحين رماح الفريقين فنى الجمع كما قال أبو النجم :

• بين رماحين مالك ونهشل

والهذب : أشفار العين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهذاب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بأ الثقينا بمحمد ربى إلا      مثل ما تلتقى جفون السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكته انهزم ولطمن فى أصحابه حدة إذا تذكرها لس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقى من دهشه لا يدرى ما يصنع فكان يلس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من قول أبى نواس :

إذا تفكرت فى مساوى له      مسيت رأسى هل طار عن بدى

(٤) المذارى جمع عذارى وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وم قواد الروم والشمث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لمة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كُلَّنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ      حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا<sup>(١)</sup>  
 فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى      وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحُرِّيَا<sup>(٢)</sup>  
 وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ      إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>

(١) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق : يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وإن اختلف فعلهما فالجبان جبا لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد      لنفسى حياة مثل أن أتقدما  
 وتقول الحسناء .

نُهِنَ النَّفْسُ وَهَوْنَ النَّفْسُ يَوْمَ الْكُرْبَةِ أَبْقَى لَهَا

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حى كما قال جيبب :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عُقْبًا صَالِحًا      وَمَضُوا يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خَسِلُودًا

وإما أنه إذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال المكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكميم : النفس للتجوهرة تأبى مقارنة الدل كل الإباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغم أحدهما ويحرم الآخر فحضور الحرب إحسان من الغنم ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلا واحداً وكذلك مسافران مثلا سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر من الراجح إحسانا يحمد عليه ومن الخاسر ذنبا يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابى :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المني من حيث يحرم صاحبه  
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ  
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما  
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين الحبسين :

لا تَطْلُبَنَّ بِالْأَلِّ لَكَ رُتْبَةً      قَلَمُ الْبَالِغِ بَغِيرَ حَظٍّ مِغْزَلُ  
سَكَنَ السَّامِكَانَ السَّمَاءَ كَلَامَهَا      هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ  
وقال :

سَيَطْلُبَنِي رِزْقُ الذِّي لَوْ طَلَبْتُهُ      لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظَ وَاقْبَالُ  
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى      مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ  
« الجد هنا الحظ والعلم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقرى  
كذب والحال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ      وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَا      إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ  
ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً      فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحْدَقُ  
فَلَا تَنْفَقِدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ      بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ  
لَخَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرُّزْقُ وَاسِعٌ      وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرُّزْقُ ضَيِّقُ  
وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَيْلِ الْفَتَى لَوْ جَدَّتْ      بِنَجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعَلَّقُ  
لَكِنَّ مِنْ رُزْقِ الْحِجَا حُرْمَ الْفَتَى      ضِدَّانَ مُبْتَرَقَانِ أَى تَفَرَّقُ

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية  
أى صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأُضْحِتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ<sup>(١)</sup>  
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوَجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقَطَ الْحَبَّ<sup>(٢)</sup>

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أَنِي مَاءٌ لِشِرْبِهِ فَفَاضَ فَصَدَّقِ  
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدًا فِي كَفِّهِ عُدَّ فَأُورِقَ فِي يَدَيْهِ فَخَفِّقِ  
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوُسُّ اللَّيِّبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْقَقِ  
والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرووق والمحروم المفهومين من قوله  
ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أى قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتابعه جماعة  
من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأُسست هناك  
فنفقت الكواكب والترب : يعنى الذى ارتفع منها إلى الجو حوالها فكانها مقلوبة أسها  
في السماء وأعلى حائطها إلى الأرض. وروى ابن جنى من فوق يرفع القاف وبدؤه بالرفع  
أيضا جعل فوق معرفة وبناء كقبل وبعد وأراد فوقه فلما حذف الماء بناء كقبل وبعد  
ورفع بدؤه على الابتداء ، قال الواحدي : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا  
معناه لأنه — أى المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها  
من فوق بدئه أى من أعلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب  
برسوخه في الأرض وهو كقول السماول :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كاليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يرام طويل

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحقاء التى تارة تأتى من هنا  
وتارة تأتى من هنا وعنهما متعلق بتصد ومخافة مفعول من أجله وأن تلتقط في موضع  
نصب على حذف حرف الجر أى من أن تلتقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها  
مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن  
الارتقاء إليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجاني : يريد أن  
الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها

وَتَرَدَّى الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا      وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبُرُ فِي طَرْقِهَا الْمُطْبَا<sup>(١)</sup>  
كُنِيَ عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ      بَنَى مَرَعَشًا تَبًّا لَا رَأْيَ لَهُمْ تَبًّا<sup>(٢)</sup>

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ      عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارُهُ  
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها      ولا يسرى بها للجن سارى  
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بمخافرها ،  
والجرد اقتصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح  
في غيم وأيضاً اسم اليوم الثانى من أيام العجوز قالوا وهى سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر  
وقيل لابن شبلى الأعرابى :

كَسَعَ الشَّتَاءُ سَبْعَةَ غُرٍ      أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ  
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ      صِنْ وَصَنْبُرٌ مَعَ الْوَبْرِ  
وَبَأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤَمَّرٍ      وَمُعَلَّلٍ وَمُطْفِئِ الْجُمْرِ  
ذَهَبَ الشَّتَاءُ مُوَلِّيًا هَرَبًا      وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ<sup>(١)</sup>

يقال إن عجوزاً كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم فى يوم من هذه الأيام  
فقتله البرد . والعطب القطن والعطب مثله كسر وعسر .  
قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِهِمْ      مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْمُطَبِّ  
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه  
قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تمييز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) السكسج شدة اللر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابعاً له ومذهبا به والسهلة  
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر فى صميم الحر ناجر للعطش الذى يسببه  
(١٣ — انتهى ١)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ لَلْحَذُورِ وَأَسْتَنْصَبَ الصَّغْبَا<sup>(١)</sup>  
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَتَمَتَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْمَضْبَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرَكِ الشَّامُ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنْ تَقَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا<sup>(٤)</sup>  
وَجَيْشٌ يُنْقَى كُلُّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَا رَطْبًا<sup>(٥)</sup>

أن يجب الناس عن بني هذه القلعة وتباً لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم المصعب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ماعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغباً ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا للمعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْلَعًا

(٤) قوله غير كريمة حال أى نفي هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم انثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حباله وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم انثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل ما ياسب عليه ولا سب أحداً لأدبه وكرمه . وانثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في الملح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى تقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : وتقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كآنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجُبًا<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى اللُّؤْمُ وَالْكَفَرُ مُلْكُهُ  
فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّبَا<sup>(٢)</sup>

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه  
لكثرة والكسافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كآته عاصف من الريح لقي غصنا رطباً  
فصف به وحطمه وعبارة السراج أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت  
له صلصلة تسمع كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من الغرض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مغاره أى إغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء  
حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى  
لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يصق فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبِيهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٍ مُصَدِّمٍ<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على  
حكمهما ويحل ما يقتضيه فهذا يرضى المكرم بعبوده ومخائنه ويرضى الله بجهاده  
في سبيله . وقال الشريف بن العجورى فى أماليه : الإشارة فى قوله فهذا إلى الملك لا إلى  
المدح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدح لقال فأتت الذى ترضى لأن الخطاب  
فى مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند  
إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه  
قد دل عليه كما توجهت الإشارة فى الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر  
إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامى :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْأَخْذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولِ

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجلاً (\*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرتة القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(\*) مستعجلاً : مستعجلاً . قال الواحدى : لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجاله في طريقه ليقتالوه فلما رأى أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العتاش فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا ياب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فصار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجتمعهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فصار وتركهم فلما يئسوا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العتاش ولذلك قال : ومتسبب عندي إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح النبي ما يأتي : قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة : ان هذا المتشدد — يعنى للتنبى — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبى غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداء الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج للتنبى من عنده متغيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق للتنبى واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التالية :



• • • • •  
\* واعر قلباه ممن قلبه شيم \*

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالى أكرم حبا قد برى جسدى      وتدعى حب سيف الدولة الأمم

إلى أن قال :

قد زرتة وسيوف الهند مغمدة      وقد نظرت إليه والسيوف دم  
فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه  
فلما وصل في إنشاده إلى قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتى      فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو انتصافاً منك ماذرفت      عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبي :

أعيذها نظرات منك صادقة      أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
فلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير  
في مجلسه ؟ فاستمر المتنبي في إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا      بأننى خير من تسى به قدم

أنا الذى نظر الأعشى إلى أدبى      وأسمعت كلمائى من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظاً وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد

حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكت      دهرأ وأظهرت إغراباً وإبداعاً

حتى فتحت بإعجاز خصصت به      للعمى والعم أبصاراً وأسما

ولما انتهى إلى قوله :

الخليل والليل والبيداء تعرفنى      والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضعت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود التميمي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني :

أعاذلتي كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش ساكنا غير هائب  
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب  
حليم وقور في البسلاد وهيبتي لما في قلوب الناس بطش الكتائب  
قال التميمي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
قال أبو فراس وهذا سرقتك من قول محفل العجلي :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فاليمينان زور وباطل  
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة الكوفي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء  
وخبر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه  
بالدواة التي بين يديه فقال التميمي في الحال :

إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم  
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحنى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر  
ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائم أكسبنى رضاك فما الدهر بالفاجع  
فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت التميمي ورضى عنه في الحال  
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال التميمي :

جاءت دنائيرك مختومة عاجلة ألفا على ألف  
أشبهها فملك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا      فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(١)</sup>  
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ      تَنَافًى لَا أَشْتَقُهَا وَسَبَابًا<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ      أَحَادِثُ فِيهَا بَذَرَهَا وَالْكَوَاكِبُ<sup>(٣)</sup>  
حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا      وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا<sup>(٤)</sup>

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتباً حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيف مضارباً ، أو تقول إنه منصوب على المدح ومضارباً تمييزاً ومضارب السيف حدودها . يقول : مالم سيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنباً يوجب ذلك ، ثم دعاه ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضرباً .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهى المفاضة ، والمبابب جمع مسبب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوأت بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكوكب ؛ وعبرة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ      وَإِنْ طَلَعْتَ كَوَاكِبَهَا خَصَالًا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تمننا بعد تمنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى وأنت حسبى وأنا حسبك والنصبون كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تمنن على تمننا بعد تمنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بى موهوباً : أى إني أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدَقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا  
 أَهَذَا جَزَاءُ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا<sup>(١)</sup>  
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ  
 تَحَا الذَّنْبُ كُلُّ الْخَوْرِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا<sup>(٢)</sup>  
 وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة وفيها سيف غير مذهب فأمر

بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَةُ النَّجِيعِ وَالْفَضْبُ<sup>(٣)</sup>

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن التنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم ، وهناك خاضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه خلط الجميع وكى عنهم بما يكى به عمن يعقل : وذكر الغضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال ابن فورجه : خضض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الغضب خضاباً للحديد لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمر منه الإنسان ، وهذا كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمرية والحجل لأن الحجل يصبغ الحمر ، فلما كانت الحمرية تابعة للحجل جمعتهما تأكيذاً ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للغضب جمعتهما وهو يريد للدم وحده ويكون الغضب تأكيذاً للنجيع : أتى به للقافية .

فَلَا تَشِينَنَّهُ بِالنَّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ<sup>(١)</sup>

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيَذْرَى مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ      وَهَلْ تَرَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخَطُوبُ<sup>(٢)</sup>  
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هَبَّةٍ كُلِّ دَاءٍ      قَرُبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ<sup>(٣)</sup>  
يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا      وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ اللَّقَةِ الْخَبِيبُ<sup>(٤)</sup>  
وَكَيْفَ تُمَلِّكَ الدُّنْيَا شَيْئًا      وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ<sup>(٥)</sup>

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراه : أفزع وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل رقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملة كالملك لمؤ قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أكلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أكل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبى أن تنال منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أكل الأدوية . وجعل للأدواء همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه للفاصلة والللاعية بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للفاصلة تجميش من الجش وهو الكلام الخفى وقيل من الجش الذى هو ضرب من الحلب لجنسها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء الم محبوب .

(٥) يقول : أنت طبيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم للمعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طبيبها ؟

وَكَيْفَ تَتُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنْوُبُ<sup>(١)</sup>  
 مَلَأْتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَّ صَيْبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِثْرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ<sup>(٤)</sup>  
 مُجْلَعَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلشَّعْرِ الْمَآحِرُ وَالْجَنُوبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصيب : مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجا :

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبٍّ مِثْلِ الْكُحْلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ<sup>(١)</sup>  
 والحشاياء جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب .

(٤) الضمير في تراها للخيول وإن لم يمر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والعثير مثال درهم العبار ، والجنيب الذي تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقات العدو بخيل يتبع العبار قوائمها كأنه جنب تقوده ، أى أنك انقطعت عن ذلك فنال منك جبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .  
 (٥) مجلعة حال ثانية للخيول والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنب ، ومجلعة

(١) الذفري الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذي تطلى به الإبل الجرباء ، ورب السمن والزيت : ثقله الأسود ، وعقيدته ما غلظ منه .

قَرَطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ<sup>(١)</sup>  
أَذَا دَلَهُ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْبٌ<sup>(٢)</sup>  
يُسَيِّفُ الدَّوْلَةَ الْوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيَبُ<sup>(٣)</sup>

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ وروى محجلة ، وطى هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ وروى الخوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ والسمر الرماح ؛ والناهر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ والجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الحبل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعادى تطؤها وتجتاحها وأحلت للرماح حناجرهم وجنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، وقرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قداله للحضر<sup>(١)</sup> فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعادى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهزمة للاستفهام المحض أو للتقرير ، وذا اسم إشارة ، وهما زل . والضرب النظير ، وبقراط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قد غلب عليها يوما فخير ومرض — أهذا داء مضل لم يهتد إليه بقراط وليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، وروى إذا داء على أن إذا أداة شرط وداء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفى داء أو إذا أعزل داء ونحو ذلك ؛ وقوله فلم يعرف جواب إذا . والفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقراط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء وروى إذا داء — بجر داء — على أن الهزمة للنداء وذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء ضم الواو وتشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان وكبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القفال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، والحضر : الجرى .

فَاغْزُوْ مِنْ غَزَا وَبِهِ اِقْتِدَارِيْ وَأَرْمِيْ مَنْ رَمَى وَبِهِ أَصِيبُ  
وَالْحُسَّادِ عُدْرُ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظْرِيْ إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا<sup>(١)</sup>  
فَإِنِّيْ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ<sup>(٢)</sup>

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب  
معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالفبارات والخمرات فأوقع بهم وملك  
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في  
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغَيْرِكَ رَاعِيَا عَيْثَ الذَّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup>

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحمهم ؛ أى بخلمهم  
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدوح فإذا حسده على ذلك أحد  
فهو معذور .

(٣) راعيا وصارما منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا  
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبه  
بالراعى وشبه هؤلاء التأثيرين بالذناب . يقول : إن الذناب تعبث بغيرك فى حال رعيه  
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذناب  
بسواك وإذا كنت أنت الصارم لم يملكك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك  
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك .

(٤) طرأ أى جميعا نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعا  
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد  
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك



طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفْتَشَهُ السَّحَابُ<sup>(١)</sup>  
فَيْتُ لَيَالِيًا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُّ بِكَ الْمَسْوَمَةُ الْعِرَابُ<sup>(٢)</sup>  
يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بِمَعْضَمٍ وَهُمْ الْجَوَابُ<sup>(٤)</sup>  
فَقَاتَلَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَفَرَّوْا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسَبُ الْقَرَابُ<sup>(٥)</sup>

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؟ وقيل : الحُب أن ينقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيول المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركباتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خلطته وسومه ، أى وما يريد والعرب العرية . يقول تعدو بك الخيل العرية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بعقاب تهز جناحيها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه إلام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائحة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرم ما يحمله الرجل ويذود عنه ؛ وللمراد هنا النساء ، والقربا القريب . يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحرمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرم وحات دون سبه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حرمهم .

وَحَفِظْتُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّةً وَأَنْتَهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ<sup>(١)</sup>  
تُكَفِّفُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُلْمَتِهِمُ الشَّعَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْقَطْتَ الْأُجْنَةَ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهَضْتَ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَمَرُوا فِي مَيَّامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبُ فِي مَيَّاسِرِهِمْ كِعَابُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصعابك .

(٢) تكفكف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرماح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظئنة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظئنة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظلماتهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولاياء جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو عمورا وكذلك كعبا ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَابًا<sup>(١)</sup>

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبيلة على حدته فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُكْرَمَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ<sup>(٣)</sup>

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :  
 إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .  
 (٢) قال ابن جني : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :  
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرع  
 واستبعد العروضي هذا للمعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف  
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكان كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :  
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفاً  
 منك فلا يبق بينهما تعاون . وهذا المعنى أراه الخوارزمي فقال :

وكنيت إذا نهدت لغزو قوم وأوجبت السياسة أن يبيدوا  
 تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد  
 وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من  
 سيفك وكذلك عند المكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .  
 (٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسي معرب . قال الجوهري : كالخلوق ، قال  
 جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تَبْرَاكِ أَخْبَثَنَ التُّرَابُ  
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمُعَرَّى بِضْنِ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابِ<sup>(١)</sup>

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من  
 من الابتذال ، عليهن قلائدهن وطيهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده

(١) تبراك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأقوية وهو  
 منتن جداً .

يُثَبِّنَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَ شُكْرًا وَأَيُّنَ مِنَ الَّذِي تُؤَلِّي الثَّوَابَ<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْعَرْنَ غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأُسْكَ فِي أَنَاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيَوْمُكَ الْمَصَابُ<sup>(٤)</sup>

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامن إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) الغرة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا رأيتك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسي :

فَإِنْ أَلَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي  
وَقَالَ الْحَمَاسِي — الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الْجَرْمِي — :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ \* أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي  
وَلَنْ عَفْوَتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَنْ سَطَوْتَ لَأَوْهِنَ عَظْمِي<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ الْعَدِيلُ :

وَإِنِّي وَإِنْ عَادِيَتَهُمْ أَوْ جَفَوْتَهُمْ لَتَأْلَمَ مَا عَلَ أَوْ كَبَادَمَ كَبْدِي  
وَقَالَ الْفَيْرِيُّ :

فَإِنَّكَ — حِينَ تَبْلُغُهُمْ أَذَاةً وَإِنْ ظَلَمُوا — لَحْتَرَقَ الضَّمِيرُ

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرْفُقْ أَهْلَ الْوَلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرُّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَمَّهُمْ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا<sup>(٢)</sup>  
وَعَيْنُ الْمَخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يحمله عبداً لك \* وما قتل الأحرار كاللعو عنهم \*  
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ يخطئ إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ يخطئ خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للدلالة للألحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك قلبت المزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقرو وفي خيء خبي بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الميزتان قلبت اثنائية ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت المزة الأولى ياء لحفاؤها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لفتان ؛ قال امرؤ القيس :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطَيْنَ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلَا<sup>(١)</sup>

وقل غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمسك لما لا ينبغي وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أُبَلِّغُ خَلْقِي جَابِراً بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ<sup>(٢)</sup>  
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلْ

(١) خطئن أي أخطآن ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حبر شيئا ، خلف عليها امرأ القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحمي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .  
(٢) الحلة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَكُمُ عِقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا جَهِلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ<sup>(٢)</sup>  
 وَصَكَّمْ ذَنْبٌ مَوْلَدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٌ مَوْلَدُهُ اقْتِرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَجُرْمٌ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ<sup>(٤)</sup>

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .  
 (١) يقول : أنت الذي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولا عتاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف المدن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال العكبري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأبادي والبوادي في نصف البيت ، فسكاته عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبته الداعي ؛ وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يقيمون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت مضمرّاً فيها . فقال لي : أنت مقرأ وقد قست ، ومع هذا أنت حفي<sup>(١)</sup> ، فصوب ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يحبلوا بصيانتك سوابق نعمك ، ولكن قد يغني الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفیه فزل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَحْتَنِيهَا رِجَالٌ وَيَصْنَلِي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ  
 وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القى بآبن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

قَانْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابٍ<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ يَكْ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودٌ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبْتُوا وَأَثُوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا<sup>(٣)</sup>

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ أَرْمِيهِ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرِّ يُسْكُو غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ<sup>(١)</sup>  
وقال البحتري :

نصد حيله أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها  
وأروع الجميع — وقد التل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتخوا فتنة لا يصين  
الدين ظلموا منكم خاصة » .  
(١) علي : اسم سيف الدولة . يقول : إن خفيوه بسبب جرمهم فإني أرجو النور عنده  
كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .  
(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن  
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .  
(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن  
ابن حسان :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُورِينَ السَّحَابِ نَعْلُمُ تَعْلَقَ بِالْأَرْجَلِ  
وَأَثُوا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثرت واثف ، وهو أثيث ، ويقال كذلك  
شعر أثيث ، وامرأة أثينة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثاث ، قال رؤبة :  
وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُحُ الْأَثَاثُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاثُ  
« الرجح : جمع رجاح ، وهي الثقلة السمينة ، والأواث : اللينات : فكان  
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقووا وعزوا

(٢) المر : قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل  
منها مثل الماء الأصفر فتسكوى الصحاح لثلا تعديها للراض .

وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)  
وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ (٢)  
وَلَأَقَى دُونَ فَائِهِمْ طَعَانًا يُبَلِّغُ عِنْدَهُ الذُّنْبَ الْغُرَابُ (٣)  
وَحَيْلًا تَفْتَنِي رِيحَ الْمَوَامِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

بإحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات للمسحون إليه .

(١) يقول : باتساعهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب من لا يقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاها ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن الحمامة دونهم : لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلاً معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغل بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلاً للرعاع ، والشموس مثلاً للسادة ، وقال ابن الإفليلي : يريد شمس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولأق : عطف على ثناه ، والثاني : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلاً ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول : لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شمسهم وللاقي دون وصوله إلى هذه الحجارة حرباً يكثر فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلباً للحوم اقتلى ، فكيف له بالوصول إلى استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على التنبى أن الذئب لا يأكل إلا ما اقترسه ، بخلاف الضبع والكلب ؛ وأنشد في ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ في قومه دُعْرٌ يُدْنِسُ عِرْضَهُ وَيُعِيبُ

لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ

« الدعر : الحائض الذي يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلاً : عطف على طعانا . والموامي : جمع مومة ، وهى المفازة يقول : وكان يلقى خيلاً تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .



وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ      فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا آسَلُ أَجَنٍّ وَلَا نَهَارٌ      وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابٌ<sup>(٢)</sup>  
رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ      لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ<sup>(٣)</sup>  
فَسَّاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ      وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابٌ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاءٌ      كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ<sup>(٥)</sup>  
بَنُو قَتْلَى أَيْكَ بِأَرْضٍ نَجْدٍ      وَمَنْ أَتْبَقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ<sup>(٦)</sup>  
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِفَارًا      وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ<sup>(٧)</sup>

(١) رب كل شيء : مالكة ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهراً وقيل هما لقتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما تفعمم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهاب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يسترون تحته ، ولا نهار يكشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لميتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينجبهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جل جيشه بجزأ من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يمجون خلفهم في سيرهم ، فكانهم بحر يمد عبابه وراءهم .

(٤) يقول : طردهم ليلاً وهم يفترون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واثقيداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلى أيك ؛ ومن أبقى : عطف عليه ، وفاعل أبقى : ضمير يعود على أيك : يشير إلى ما كان من أبي الهياج والد سيف الدولة مع بني كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَى مَا نَى أَبِيهِ فَعَلَّ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)  
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ طَلَبِ الْأَعَادَى وَمِثْلُ سُرَاكَ فَلَيْسَ مِنَ الطَّلَابِ (٢)

وجمعها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صفار يلبسون السخاب فهاشوا عتقا سيقه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرد والعيان وأنت أخذت أخذ أبيك في الغزو والغفران ؛ ففطهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يجتروا بآبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجيت على باقيهم وآتى ما نى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لثيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعادى ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبنس الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيبعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرئى أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة  
فكتب أبو الطيب بهذه المزية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أختَ خَيْرِ أَيْخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِفَايَةً جِهًا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)  
(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)  
(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْحَزُونَ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَا فِي قَبْضَةِ الطَّرِبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنيت كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة  
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبها  
من أشرف الأنساب ، فإذا كنيت بهما عرفت لأنهما خير الناس : فإذا قلت يا أخت  
خير أئخ ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مرثية من  
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك  
يعرفك بما فيك من المحاسن والحمد التي ليست في غيرك ، وهذا يخفى عن تسميتك ،  
كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فيجمعُ الاسمُ مَعْنَيْنِ مَعًا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .  
قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْتَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا عَمِّي ذُو اللَّبِّ سَأَلْ  
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايْسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّغْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ  
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِثْرِمِ طَرَبَ الرَّوَالِهُ أَوْ كَالْخَتَبِلِ

« الرواله : اثناكل ، والختبل : الذي اختبل عقله : أى جن » يقول للتنبى : من استخفه  
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب  
أى الحزن - يصرهما كما يشاء .

(٤) غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدِ  
 بَيْنَ أَصْنَبْتَ وَكَمْ أَسْكَنْتَ مِنْ لَجَبِ (١)  
 وَكَمْ صَحَبْتَ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَحْبِ (٢)  
 طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَيْرٌ فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)  
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِاللَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، ومجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تقضى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حَقك أن ترعى ذمته ولا تتجهم بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلکوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هُلكه هلكَ واحدٌ ولكنه بِنِیان قوم تهدما  
 وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير  
 وتقتلنى فتقتل بى كريماً يموت بموته بشر كثير

(٢) يقول : وكَمْ صَحَبْتَ أَخَاهَا يَا مَوْتَ فِي غَزَوَاتِهِ وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ أَنْ يَمَكِّنَكَ مِنْ إِهْلَاكِ مَنْ أَرَدْتَ فَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ وَمَكَّنَكَ بَسِيفِهِ مِمَّنْ أَرَدْتَ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِ الْآخَى فِي قَافِيَةِ اللَّامِ :

شريك المنايا والنفوس غنيمَةً فكل ممات لم يمته غلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع

- (٨) تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَهَا  
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)  
كَانَ فَسَلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا دِيَارَ بَكْرِ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبْ (٢)  
وَلَمْ تَرُدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَةِ وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٣)  
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذْنُوعًا فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ (٤)  
يُظَنُّ أَنَّ فُوَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبِ وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٥)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشمس الذى يغص به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . وحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لغة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريدآ . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته .

(٢) فسله : كناية عن اسم المربية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتاها نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخينا سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سهاجة . . .

(٥) أراد : أيلظن ، غذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أظن أنى غير حزين .

- (١٣) بَلَى وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْفُضَّادِ وَالْأَدَبِ (١)  
 (١٤) وَمِنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةٌ النَّشَبِ (٢)  
 (١٥) وَهَمَّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)  
 (١٦) يَغْلُظْنَ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَغْلُمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - والحلايق : جمع خليفة بمعنى الخلق ، والنشب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لداتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها همهن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

(٤) الشنب : قيل هو تعزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تغليجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمعي يقول : الشنب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثاتها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال : ما هو إلا بردها ، وقول ذي الرمة لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمعي ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من الشنب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرأتهن . قال ابن جني : كان التنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت التنبي

لا والذي تسجد الجباه له مآلي بما ضم ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)  
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَأَاهَا رَأْسَ لَا يَبِ رَأَى الْقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدروع الميانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يغرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْمَيَانِي وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِنَانِ

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للدرق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَافِيَةٍ دِلَاصٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجمحي :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوِيهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

«جَوِيهَا : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لها قلوبا مجازاً لوصفها لها بالسرة والحسرة .

(٢) القانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابس ورأها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابس ورأى هذه المرأة وهي تلبس القانع رأى القانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْقَفْلِ وَالْحَسْبِ<sup>(١)</sup>

(٢٠)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عَنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الْحُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ<sup>(٢)</sup>

(٢١)

فَلَيْتَ طَالِمَةً الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبْ<sup>(٣)</sup>

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاءَ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبْ<sup>(٤)</sup>

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشَبَّهًا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ<sup>(٥)</sup>

(١) الحسب : شرف الآباء أو العمال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

\* وَرُبَّ حَسِيبٍ الْأَصْلُ غَيْرُ حَسِيبٍ \*

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقة . وللمراد العريضة الآية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : القلاظ القلوب ، نعمهم بفظ الرقة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينقادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالعمز والنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تنافس به عنهم وتفضلهم ، كالخمر أصلها العنب ، ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتما — وهى المريئة — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المريئة التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف . يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .



وَلَا ذَكَرْتُ جَبِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا (٢٤)  
 قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا (٢٥)  
 وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرُكُهَا (٢٦)  
 وَهَلْ سَمِعَتْ سَلَامًا لِي أَلَمْ يَهَا (٢٧)  
 وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ (٢٨)  
 إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)  
 فَمَا قَنَنْتِ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)  
 فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)  
 فَقَدْ أَطْلَتْ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كُفِّ (٤)  
 وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لدى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحببت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكانت الأرض لم تنفع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يحجز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التائبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريبا منها فحسدتى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكرا وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا جيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريبا منها ؟

(٥) التيب : جمع غائب ، مثل خدم وخادم . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا للمدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض لبييف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا  
 وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ (١)  
 وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَنْبِئًا أَحَدًا مِنْ الْكَرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجَبِ (٢)  
 قَدْ كَانَ قَاتِمَتِكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)  
 وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهنا لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواقفه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ . ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجية مثال الحمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأتجب الرجل : أى ولد ولداً نجبياً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ تَجَلَّاهُ فَنَمَّ مَا نَجَلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تله النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكسر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي القبيحة .

(٣) ويريد بالشخصين : أخيه . ماتت إحداهما — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدردى بذهب ، جعل الكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتِمَتِي دَهْرِي بَنَى مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

٣٣ مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا

كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ <sup>(١)</sup>

٣٤ جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأَحْزَانِ مَغْفِرَةً

فَحَزَنٌ كُلُّ أَخِي حُزْنٌ أَخُو الْغَضَبِ <sup>(٢)</sup>

وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ بِمَا يَهَيِّنُ وَلَا يَسْخُونُ بِالسَّلْبِ <sup>(٣)</sup>

حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَحَلٌّ سُمِرَ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ <sup>(٤)</sup>

فَلَا تَنْتَكِ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنِ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ <sup>(٥)</sup>

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجّلوا نحوه ، فذلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .  
(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يحجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يفعلن ، فالواو لام الفعل ، والتون علامة الإخمار وجمع التأنيث ، وهو مثل « إلا أن يفون » أى النساء ، وىروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفى الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المرمية وأتم قوم أهل عزة وأتة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَتَقًا شَابَهُ أَنْ يَقْدَرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت فى رؤوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالى بسوء ، فإنها تغلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ فَاهِرُهُ  
وَلَا يَصِدُنَ الصَّغَرُ بِالْخَرْبِ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْ سَرَزْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ  
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْمَجَبِ<sup>(٢)</sup>  
وَرُبَّمَا أُخْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا  
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُخْتَسَبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ  
وَلَا آتَتْهُ أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ<sup>(٤)</sup>  
تَمَخَّلَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا أَتَّفَاقَ لَهُمْ  
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ<sup>(٥)</sup>  
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً  
وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمُ الْمَرْءِ فِي الْمَطْلَبِ<sup>(٦)</sup>

٣٨

٣٩

٤٠

٤١

٤٢

٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري<sup>(١)</sup> وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداء  
فإنهن يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .  
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقدته إذا استردته وقد أرينك  
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدتها فكانت سببا للسرور والنعيم ، وهذا عجب  
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والمساءة .  
(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن الحزن قد تناهت فلم به شيء لم يكن في حسبانته ،  
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .  
(٤) اللبانة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد  
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب  
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .  
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل  
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم  
من الهلاك ولا تنفئ بقاء الأجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبحث — وفريق يذهب  
إلى أن الروح ينفى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،  
ويضرب به المثل في البلاء فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غير عشه ذهل  
وحسن يفض غيره .

(٢٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله السير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup> :

فَهَنْتُ الْكِتَابَ أَبْرَأَ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ<sup>(٣)</sup>  
وَطَلُوعًا لَهُ وَأَبْتِهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكَذِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقتها ألبته أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من التقارب ، وتقطعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناد التوجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروي المقيد ، ومن الناس من لا يعمده سناداً اكتفاء باتفاق الروي .

(٣) (٤) سماً وطوعاً وابتهاجاً : ثلاثها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سماً ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجاً ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشيء وله - بالكسر - بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرَقُ

يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أنى قصرت بتخلفي عن الهوى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعني من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ يَبْنَأُ وَالْحَسْبُ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسْبُ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ<sup>(٣)</sup>  
فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءُ وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطَلُ الْفَضْبُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَظْتُ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ<sup>(٥)</sup>

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والحسب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبي وسميهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال معي بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصرا لهم . وزاعه إليه نصرا له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناء : الحلم والرفق والثبوت ، وبعد الأناء كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفي فى البيت الأول ، والضير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهجك فتنكر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يعسكه . قال الأصمى للرشيد : ما ألاقنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفأك كف ما تليق درهما وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخففها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضا منك ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبنى ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْقَبَّ (١)  
وَمَا قِيتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعُ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ (٢)  
وَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَسَبَ (٣)  
أَفَى الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَ فِي السَّخَا ءَامَ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَ فِي الْأَدَبِ (٤)  
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَبِّ كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ (٥)  
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضا ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للانسان والحف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والقب والقبب : للبقر والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلا لسيف الدولة ، والثور مثلا لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خداس بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رِحالته عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَى صِهْوَةَ الْفَرَسِ

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلا أن أقيس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفا - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفا من خشب ، وكان هو سيفا من حديد : يعنى أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه سمي على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أى متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أى النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ التنبي .

(٦) أخو الحرب : أى عرفت به وعرف بها فصار لها أخا ؛ وقناه : فاعل سبي : أى رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحدا خادما فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسِرُّ بِمَا لَا يَهَبُ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْتَى لَا تُنْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقَى السُّحْبُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْتَى عَلَيْهِ بِآلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتَى فَأَرْقَنِي أَمْطَارَهُ فَأَكْثَرُ غُذْرَانِهَا مَا نَضَبُ<sup>(٤)</sup>  
أَيَا سَنَفَ رَبِّكَ لَا خَلْقِهِ وَيَاذَا الْمَكَارِمَ لَاذَا الشُّطَبُ<sup>(٥)</sup>

بنفسه ، لا مما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائيه ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكاته في الأعداء  
(١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يَحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ  
(٢) يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء يدينهم البالغة وتعظيم للمدح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى أُخْرَى وَدَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةَ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتْهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْآخِرِ  
(٣) يقول : أنتى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة : أقربت محلته أم جدت .

(٤) الغدران : جمع غدير ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غديراً لعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عني فإن ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق



وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُبْنَةٍ بِالرُّبَنِ (١)  
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحَسَامٍ ضَرْبَ (٢)  
بِذَا أَلْفَظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ (٣)  
وَقَدْ يَلْسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَنْ تَعُورُ وَقَنْبٌ يَجِبُ (٤)  
وَعَرَّ الدُّمُتْقُ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ (٥)  
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ (٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .  
يقول : لست ميلا كسائر السيوف . فأنت سيف الله لاسيف الناس . وأنت صاحب  
المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :  
الرماح . يقول : يا أبعد الناس همّة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم قطعاً كلا  
منهم المزلّة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذّا : أي بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع المخافة من فروج البلدان ؛  
والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم  
يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف  
الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أي من شدة الرعب ، والوجب خفقان  
القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يلسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب  
واضطراب حتى أقذتهم .

(٥) الدمستق : قائد الروم ، والعداة ، جمع عاد بمعنى عدو ، والثقل : الشديد  
المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجتراً الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما  
أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغايتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يقتل لأن سيف الدولة إذا هم بالغارة وهو  
عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبَبِ قِصَارَ الْعُسْبِ<sup>(١)</sup>  
تَغِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيْبْ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَنْسِبْ<sup>(٣)</sup>  
فَفَرَّقَ مَدْنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ<sup>(٤)</sup>  
فَأَخْبِتْ بِهِ طَالِبَا قَهْرُهُمْ وَأَخْبِتْ بِهِ تَارِكَا مَا طَلَبْ<sup>(٥)</sup>  
فَنَائِتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِثْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ<sup>(٦)</sup>

(١) أتاها : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بخيل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والسبب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاها الدمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ يصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياذ الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب في الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهب — أى الجبال العالية — غطاها لكثرتها فغابت فيه ، وإذا تخيل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعة وانتشاره حولها .  
(٣) تخط — بخطف إحدى التاءين — أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غصن الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاها من الجيوش بما عم بلادهم فكانها أغرقها ، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخبت به : صيغة تعجب : أى ما أخبته في الحالين ، ويروى الثاني ؛ وأخبت به تاركا ، من الخينة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبته حين يحاول قتله لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخيه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل الثغور أتاها فقاتلهم بالمبارزة ، فلما جئت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكانها قاتلهم به كي ينجو .

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبَ<sup>(١)</sup>  
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَآيَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْفَوْتِ قَبْلَ الْعَطَبِ<sup>(٢)</sup>  
 فَخَرُّوا نَحْلَاقِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ<sup>(٤)</sup>  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدُّ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُقْتَصِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغشتهم قبل أن يعطبوا ، وإعما ينفع الفوت إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للفوت ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَلَمًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهَارُهَا  
 وقول البحري :

واعلم بأن الفيث ليس بنافع للناس ما لم يأت في إبانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذي يتخذه المسيحيون في يوتهم ويضعهم على شكل الصلوب . يقول : أما أقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التي أنزلتها بأعدائهم ؟

(٥) المعتصب : أى التوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادتْ لهن ذُنُوبُ  
 أى أتتى .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ<sup>(١)</sup>  
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِرَّجَالٍ لِهَذَا الْعَجَبِ<sup>(٢)</sup>  
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشُّرَكِيِّينَ إِنَّمَا لِعَجْزٍ وَإِنَّمَا رَهَبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ النَّعْبِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّكَ وَخُدَّكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بَابْنٍ وَأَبٍ<sup>(٥)</sup>  
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبٌ<sup>(٦)</sup>  
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبٍ<sup>(٧)</sup>  
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبٍ<sup>(٨)</sup>

(١) يقول : إن المستحق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين ولهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولأم فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولأم لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سيويه لقيس بن ذريح :

تَكُنْفَنِي الْوَشَاءُ فَأَرْجُو فِيَاللَّاسِ لِلْوَأَشِيِّ الطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا الشركيين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما محجراً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادنين والمواعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكثب كآبة : حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزى به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارجع لا وقد عذله أبو سعيد المجيمري (\*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنْبِ الْعِتَابَا      فَرُبُّ رَأْيِي خَطَأٌ صَوَابَا<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحِجَابَا      وَأَسْتَوْقِفُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا<sup>(٢)</sup>  
وَلِإِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا      وَالذَّابِلَاتِ الشُّمْرُ وَالْعَرَابَا  
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحِجَابَا<sup>(٣)</sup>

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبضك ينضه ومن أجلك بهبه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيقتي على حب لك - وهو أقوى سبب ، لأن حب إياك أكثر من حب غيري - نلت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبرة ابن جني : لو تناهيت في جزائك إياي على حب إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حب لك قال أبو الفضل العروضي : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذي لاحظته العروضي لم يوفق فيه .

\* هو أبو سعيد النبجي من بني الميحر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأيي خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين \* فرب رأيي خطأ الصوابا \* يقول : أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تماثني ، لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :

(٢) فإنيهم : أي الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعرايا الحيل العرية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذي أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبي وآماله السكار

وقال في صباه ارتجالا لبعض الكلايين وهم على شراب :

لَأَحْبَبِّي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ الْكُوبَا<sup>(١)</sup>  
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا<sup>(٢)</sup> وَكَلَّى أَنْ لَا أَشْرَبَا  
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسِمَعَاتِ فَأَطْرَبَا<sup>(٣)</sup>

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى وينفى الشامة عن بنى عمه (\*) :

لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ يُوْتِرُ نَطَالِبُ<sup>(٤)</sup>

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف انقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرِب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قله فى صباه ، مثل الأبيات التى قبلها .

\* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إِنِّى لأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ

وَسَتَأْتِى ، ثم استزاده بنوعم الميث فقال هذه الأبيات :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهَنَ بِحُجُورِ

وَسَتَمُرُّ بِكَ ، ثم سألوهُ أن ينفى الثلاثة عنهم فقال :

الْأَلْ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَنِينَ دَائِمٍ وَزَفِيرَ

وترأها فى قافية الراء ، ثم سألوهُ زيادة فى نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التى

نحن بصدها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للرؤيا تعبرون » أى أى صرُوف الدهر نعتاب ؛ والوتر : الثأر . يشكو الدهر يقول :

إن صرُوف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معاتبها ولا طلب الثأر منها .

مَضَى مَنْ قَدَّذَا صَبْرُنَا عِنْدَ فَقْدِهِ  
وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ<sup>(١)</sup>  
يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ<sup>(٢)</sup>  
فَتُسْفَرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلْنَ ضَرَائِبُ<sup>(٣)</sup>  
طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْقُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٌ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ<sup>(٤)</sup>

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد  
يعينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح  
الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .  
(٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع في الهواء  
سماء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
وقال أيضاً :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سَيْوُفًا وَنَعْمًا يَنْقُبُضُ الطَّرْفُ أَقْبَمَا  
وقال آخر :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجْمَ سَمَائِهَا

(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وطبته وانفلقن :  
انفلقن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه  
العجاجة تنجلي عنه ، وقد تثلث سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة  
لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيْوْفَهُمْ بِهِمْ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وفي هذا البيت - بيت النابغة - من البديع تأكيد اللوح بما يشبه الدم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعماقها كالشمس في برقيها  
ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس  
في الحمر :

طَالَمَاتِ مَعَ الشُّقَاةِ حَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ      وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ<sup>(١)</sup>  
 رَثَى ابْنُ أَبِيْنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ      فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَعَرَضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ      وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاصِبُ<sup>(٣)</sup>  
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْنَ ابْنِ أَبِي      لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدْبُ الْعَقَارِبُ<sup>(٤)</sup>  
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ      دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ<sup>(٥)</sup>

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفها : تبعها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكن ذلك حتى تبعها مصائب أخرى ، وهى اتهام للفسدين إيانا بأننا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذى رحم له : يروى ، غير ذى رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالثماتة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأننا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يحوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتنى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من شمتهم ؛ ويحوز أن يكون من كلام الذين ينفون الثماتة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى الثماتة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن الخيعة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتنى بينهم بالخيمعة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّ قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ



وقال يمدح المنيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا      لِأَهْلِهِ وَشَقَى أُنَى وَلَا كَرَبَا<sup>(١)</sup>  
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَتَى الْفِرَاقُ لَنَا      مِنَ الْقَوْلِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا<sup>(٢)</sup>  
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَنْهَا مَطْرًا      سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَنْهَا سُحْبَا<sup>(٣)</sup>  
دَارُ الْمَلِمِ لَهَا طَيْفٌ تَهْدِدُنِي      لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذِبَا<sup>(٤)</sup>

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — ؛ أن هي الخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال القاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب : يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكائى قضى ما يجب وشقى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقص والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالْدَّيَّارِ الَّتِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدَمُ      بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ  
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحية فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .  
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَتَأَى جَشَّتُهُ فَنَبَا قَبْلَتُهُ فَأَبَى <sup>(١)</sup>  
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتَ بَيْنَتَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنْبًا <sup>(٢)</sup>  
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا <sup>(٣)</sup>

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — فى الملم — بمعنى التى ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال  
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربيع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف .  
 أوعدننى ليلا . أى هددنى بالهجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،  
 ولا كذب الطيف فى تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : ويروى أَنَأَيْتُهُ : أى أَبْعَدْتُهُ ؛ ودنا : قرب ، وجشته : غازلته  
 وداعبته ، ونبا : تجافى وتباعد ؛ وأنييته أنا : دفعته عن نفسى ؛ وفى المثل :

الصدق ينبى عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل  
 فى الضريبة ؛ ونبا بصرى عن النبىء ونبا به منزله : إذا لم يوافقهم ؛ وأبى : امتنع ، يقول :  
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلنى بضده ، وهذا قريب من قوله :

\* صدت وعلمت الصدود خيالها \*

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لقلبة الهوى عليه ؛ والطنب : جبل الحباء  
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن  
 سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :  
 اتخذت بيتا من قلبى فزلت ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هى مظلومة القد — إذا شبه بالنفسن ، لأنه أحسن منه — وهى  
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعلل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض  
 الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى فى تأنيته :

وما ضَرَبَ بِيضَاءُ يَأْوِي مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفٍ أُغْيَا بَرَّاقٍ وَنَازِلٍ  
 بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَّ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ <sup>(١)</sup>

(١) يَأْوِي مَلِيكُهَا : أى يعسوبها ؛ ويعسوب النحل : أميره ؛ والطنف : حيد يندر

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا<sup>(٢)</sup>  
 مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرَبُّبِنَهَا فَقُلْتُ لَهَا  
 مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا<sup>(٣)</sup>  
 فَاسْتَضَحَّكَ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْمُعِثِ يُرَى  
 لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا أَنْتَسَبَا<sup>(٤)</sup>

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنها  
 ولين حدشها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطالبه لمفتها وصياتها ؛  
 ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَهِنُّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ<sup>(١)</sup>  
 (٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :  
 النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربها من الطرف وبعده عن القبض  
 عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :  
 وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ  
 ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعِينِ نَجْمُهَا  
 تَرَاهَا عُمُومُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا  
 وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الْفَوَادَ عَزَاءً جَمِيلًا  
 فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّفُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ  
 (٣) و (٤) القرب : المساوى لغيره في العمر ؛ ويقال للذة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن  
 مواشيهم لا تبث معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسْتَعَى وَأَشْمَحَ مِّنْ  
أَعْطَى وَأَبْلَغَ مِّنْ أُنْثَى وَمَنْ كَتَبَ<sup>(١)</sup>  
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُفْقَدٍ لَمْشَى  
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أُخْرَسَ خَطْبَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ  
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا<sup>(٣)</sup>

الذي قوى وترعرع واستغنى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،  
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع  
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن أبي نعيم تربيها قتل لها : أنت  
من الظباء وترباك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت  
ثم قالت : لا تعجب من ذلك فإنى كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؛  
وكذلك أنا : ترائى من الظباء وأنا عريية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن  
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية  
للملامة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة  
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن<sup>(١)</sup> لشيء ، أو في جاهل لصحا من  
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رطى النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه  
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُغْفِي حَيَاءً وَيُغْفِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

(١) الزمن ذو الزمالة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التمتع .

يَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً  
وَدَّرُ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ نَحْشًا لَبًا<sup>(١)</sup>  
وَسَيْفُ عَزِيمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَبْتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبًا<sup>(٢)</sup>

وقوله أيضاً :

وَإِذَا الرُّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابَ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ<sup>(١)</sup>  
ويقول أبو نواس :

إِنَّ الْعْيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكُوسَ نَاطِرٍ  
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها  
فلم تستطع حجبها ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلُوءِ هَيْبَاتٍ لَسْتُ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ  
وقال ابن جني : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع  
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا  
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبرة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه  
وبهائه لا يحجب شيئا ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب  
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس  
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق  
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضאו ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمر : دم القلب . قال أوس بن حجر .  
أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُجَيْمٍ أَوْلَجُوا أَيْيَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ  
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب  
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أي  
مطاطقى رؤسهم منكسى أبحارهم إجلالاً له وهيبة وللنحو بين في نواكس كلام طريف فانظره  
( ١٦ — المتنبي )

عُمُرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَقَاهُ فِي رَهَجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمُرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا<sup>(١)</sup>  
تَوَقَّهَ قَمَتَى مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبًا<sup>(٢)</sup>  
تَحْلُو مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا<sup>(٣)</sup>

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .  
وفال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهيه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أى إذا أراد أن يهب .  
(٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه : اتصّب بإضمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجبتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجبتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :  
\* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ \*

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : السال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإباداة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلُّمُ الْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظِلَامًا  
وما أحلى قول أبي نواس :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضنت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعنى أن فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد الملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَنْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ  
وَتَحْسُدُ أَنْخِلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبًا<sup>(١)</sup>

(١) القبضة والحسد : كلاهما بمعنى التنى ، بيد أن القبضة أن تمنى مثل حال المعبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالقبضة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذرى :  
وينا المرء في الأحياء مُغْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ  
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا حبست إلیته لتنظر أبه طرق أم لا؟<sup>(١)</sup> وغبط الشاة والناقة : جسهما لينظر منهما من هزالهما . قال رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَاقًا<sup>(٢)</sup> لَتَعْرِفَهَا لَاحَتْ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ  
إِنِّي وَأَنْتَ ابْنُ غَلَاقٍ لَتَقْرَيْنِي

كغايط الكلب يئني الطارق في الذنب

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الحبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغايط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الحبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مفعولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخیل ، وأیها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يغبط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخیل يحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جني : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاها فهي كالكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطارق : — الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : — كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ بَيْنَهُ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا<sup>(١)</sup>  
وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا<sup>(٢)</sup>  
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا<sup>(٣)</sup>

والجلى ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول  
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ  
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد  
هجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .  
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، خذف أن وأبقى عملها ،  
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين  
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار  
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قَالَتْ حَرِيفَةٌ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ  
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرْقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ  
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ  
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِهِ إِيَّاهُ يَنْمِرُقُ  
(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا  
المال كان غراب البين يرقبه ، فكما جاء مجتد صاح فيه ففترق ثمنه ، وعبرة الواحدى  
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكان غراب البين  
نعب فى مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعبيه بيان ومثال لتفريقه  
المال عند مجئ السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى  
ديار قوم ففرقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتقر عن الصياح . كذلك  
هذا لا يفتقر عن العطاء : فهو جيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتقر عن الصياح ؟  
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فنهبا  
غراب الفأس : أى حدها . قال الصباغ يصف رجلا قطع نبعة :



بَحْرٌ عَجَابُهُ لَمْ تَبْقَ فِي سَمَرٍ وَلَا عَجَائِبِ بَحْرِ بَدَهَا عَجَابُ<sup>(١)</sup>  
لَا يُفْنِغُ ابْنٌ عَلِيَّ نَيْلٍ مَنَزَلَةٍ يَشْكُو مُحَاوَلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا<sup>(٢)</sup>  
هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلِ بِهِ فَفَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّهُمْ ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>

فَانْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لَأَوْسَاطِ الْعِضَاءِ مُشَارِزُ

« أى أمال على النبتة فأسا ذات حد ، غرابها — أى حدها — مشارز : أى معاد أو سيء الخلق ، والمشارزة هى المصارعة » ومنها الغراب : قذال الرأس يقال شاب غرابه : أى شعر قذاله . والغرابان من الفرس والبمير حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، قال الراجز .

يَا عَجَبًا لِلْمَجَبِّ الْمُجَابِ خَمْسَةَ غُرَبَانَ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : المسامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون فى ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرة مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرًا وسمورًا لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضًا السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهري : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهى جمع ، ففها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على الماء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قالوا : والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

• وَسَامِرٌ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَّمَرُ •

وابنا سمير الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب فى باب الفضل والاشجاعة لأنها كيهها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار ، إذ هى بالقياس إليها كالشئ المؤلف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبرة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار

(٢) مهاولها : أى طالبها ، وأصله طلب الشئ بالحيلة . يقول : لا يقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائما يطمح إلى ما يحجز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا  
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صُمِبَا<sup>(١)</sup>  
مُبَرِّقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي  
هَامِ الْكِمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا<sup>(٢)</sup>

جعلوه سيدهم وقائدهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنانا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوى :

وَلَا يَرَعُونَ أَكْنَافَ الْمُؤَيَّنَا إِذَا حُلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ<sup>(١)</sup>  
(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والكمأة : الأبطال المدججون في السلاح والعذب : جمع عذبة وهى الريش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب : إما لمنازلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبرة أبى الفضل العروضى : أن سيوفهم مكان البراقع لحيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام الكمأة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التى تطلق بالرمح . وقال جرير فى هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا  
غَدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كَسْرَى وَقِصْرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانًا لِقَنَا الذُّبُلِ

إِنَّ النَّبِيَّةَ لَوَ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ  
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا  
مَحَامِدُ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَتْلَاهَا  
مَكَارِمُ لَكَ فَتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا  
خَرَقَاءُ تَتَّبِعُهُمُ الْإِقْدَامَ وَالْمَرْبَا<sup>(١)</sup>  
فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّبُهَا<sup>(٢)</sup>  
فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضْبَا<sup>(٣)</sup>  
مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ قَائِتٍ طَلَبَا<sup>(٤)</sup>

وقال أبو تمام :

أَبْدَلَتْ أَرْوُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مِنْ

قَنَا الظَّهْرَ قَنَا الْخَطِيئَةَ مُدْعِمًا

مِنْ كُلِّ ذِي لِمَةٍ غَطَتْ ضَفَائِرُهَا صَدَرَ الْقَنَاةِ قَدْ كَادَتْ تُرَى عِلْمًا

(١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولا قتلهم النية يوم الوغى للبطت بالأرض خوفا وفزعا لاتبعتها لما رأى في السلامة فهي تنهم الإقدام وتنهم الحرب خشية الإدراك : أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ تَرْتَاعُ اللَّئُونُ لَهُ إِذَا تَجَرَّدَ لَانِكْسُ وَلَا حَازِرُ

وقال أيضا :

شَوْسٌ إِذَا خَفَقَتْ عُقَابُ لَوَائِهِمْ ظَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوْتِ مِنْهَا تَحْقِيقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارت أعلى من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نزفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؟ ونضب : جف . قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — منزوفا . يقول : لم تملأ هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ، ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامد وكثرة مدائمه لم يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مديحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغرق محامد فى الشعر كلها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوبا .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائم ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفْتَ إِلَى الْخَبِيرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَاً<sup>(١)</sup>  
 فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَاً<sup>(٢)</sup>  
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوِي شَرَفْتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى مَا عَاشَ وَأَنْتَجَبَاً<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالْمَشْرِفِيَّ أَبَا<sup>(٤)</sup>  
 بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَاً<sup>(٥)</sup>  
 فَحَ بَكَادُ صَهِيلِ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْقَزْوِ أَوْ طَرَبَاً<sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى المدحوق فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان الغاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عثمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيري ولا أقف ، حتى وصلت إليك عموها على راحلتين من قفري الذي يحفزني إلى بابك طلباً لجذواك وأدبى الذي تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والاتعاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقني الدهر من الفقر والغربة شيئاً لو ذاقه هو لبكى واتعب مدة حياته ولم يستطع عليه صبراً لأنه الغاية في الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسهمري : الرمح ، والمشرقي : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بي العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبتي . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الهم يعمر عمرآ وعمارة وعمرآ ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقي زماناً طويلاً ومنه قولهم : أطال الله عمره وعمره كوما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المفبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقع : الخالص : أى العربي الخالص النسب ؛ وقع : نعت لأشعث ، والمرح : النشاط . يقول : للزمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرى نفسه في التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حتى بدل صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعَذَّرُنِي وَالصَّبْرُ أَجَلُنِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِيَن غَلْبًا<sup>(١)</sup>

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يعمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :  
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ  
وقول البحتري :

مُسْتَرْسِعِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرْ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذرني من أن أعيش ذليلاً ، فإذا قتلت في طلب العالي قام الموت بعذري ، والصبر أجل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قل العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلاً ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطي  
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق المتنبي وأنه لا يمدح الناس إلا لمدح نفسه وبنوه بما تتطوى عليه من الطامع والآمال الكبار والزراع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب \*

بأبي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا      اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا<sup>(١)</sup>  
الْمُنْهَبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولُنَا      وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا<sup>(٢)</sup>  
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْحَيَا      تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا<sup>(٣)</sup>  
حَاوِلُنْ تَفْدِيَتِي وَخَفِنْ مُرَاقِبَا      فَوَضَعْنِ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا<sup>(٤)</sup>

\* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .  
(١) الباء للتفدية ؛ والشموس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :  
الشموس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى  
الشموس بأبي ؛ والجناحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف  
به من الثياب ، وأصله جلابيب : قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » لحذف الياء  
ضرورة ؛ كنى بالشموس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :  
لما سماهن شموسا كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشموس عن العيون لا يكون إلا  
بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشموس : النساء الحسنات ؛ إذ قال : اللابسات الخ .  
وقال ابن جني : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهيات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،  
وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهيات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها  
فاعل المنهيات : أى اللاتي أنهيت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصصر على مفعول واحد ؛  
ويقال أنهيته الشيء إذا جعلته نهياً . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهياً لوجناتهن  
يسينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل الشجاع المغوار  
الذى ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، وهذا من قول أبي تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ      تَغْلُ لِبَّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات المفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والحيات :  
بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جراءة المرأة على  
الرجل في تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى تفديك بأنفسنا  
فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جني : أشرن

وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهِ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَ<sup>(١)</sup>  
يَا حَبَّذَا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبَّذَا وَإِ لَثَمْتُ بِهِ الْفَزَالَهَ كَاعِبًا<sup>(٢)</sup>  
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أُنْشِبَنَ فِي مَخَالِبًا<sup>(٣)</sup>

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جني لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمي ؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيناً للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ما قبله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى بِجَانِبِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ  
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاضِهِ تَسْلِيمٌ  
(١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إني كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحكٍ عن بَرْدٍ مُشْرِقٍ أَبَا حَنِيهٍ دُونَ جُلَاسِي  
فكَلَّمَا قَبْلَتُهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي  
وقول بعضهم :

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا  
(٢) المتحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : الذى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .  
(٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزُنًا وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَجَعَلَنَّهُ لِي صَاحِبًا<sup>(١)</sup>  
وَنَصَّبَنِي غَرَضَ الرِّمَاءِ تُصِيبُنِي مِخْنُ أَحَدٍ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا<sup>(٣)</sup>  
وَحَبِيتُ مِنْ خَوْصِ الرُّكَابِ بِأَسْوَدٍ  
مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمُشِي رَاكِبًا<sup>(٤)</sup>  
حَالًا مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا<sup>(٥)</sup>

ضعيفُ النِّكَايَةِ أعداءه يَحَالُ الْفِرَارُ يُرَاحِي الْأَجَلَ<sup>(١)</sup>

وأُنشِبَنِي : علقن ، والمخالب : جمع الخطب — بكسر الميم — وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني وتقد في حكمها ؟

(١) أوحدني : أى الخطوب — أى صيرني واحدا . يقول : تركتني الخطوب وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأخبة ، وجعلت صاحبي بدم ما أجده من الحزن التناهي الذي هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) انقض : المهدف يرمى بالسهم ؛ ومضاربا : تميز جمع مضرب — بفتح الراء وكسرها — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبت هدفا للمخن .

(٣) أظمتني من الظما : العطش : فأصلها أظمتني ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها . يقول : كان حظي من الدنيا الحرمان . فلما التمس عطاءها أفرغت على المصائب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أى بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ، وهى الناقة الفائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب من السخيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه حال ، ويروى حالا — بالنصب — على

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن ينكى أعداءه وجبان عن أن يثبت لقرنه ولكنه يلجأ إلى الفرار ويغاله مؤخرأ لأجله .



مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ      يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا<sup>(١)</sup>  
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ      وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
كِرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ      بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنَكَ كَاذِبًا<sup>(٣)</sup>

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فَيَّ وَقَدْ يُرَى      بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ  
وَقَالَ أَيْضًا :

عَضِبْتُ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِيَةٍ      جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ  
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تمييز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المروف والمراد به الجود ، والساكب : للنسكب . يقول : إن سنان رعمه يقطر دما من الأعداء ، وكفه تسكب جودا على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ      وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا  
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده وينتجع إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شاربا . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَاحْبُوتٍ مِنَ اللَّهَِا      زَرَرًا وَأَصْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلًا  
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق القدرة . قال الواحدى — ناقدًا — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبُ      تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكَذِّبُ  
وَقَالَ الْبَحْرَى :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا      وَحَذَارِ مُمَّ حَذَارٍ مِنْهُ مُحَارِبًا<sup>(١)</sup>  
 فَالْمَوْتُ تُعْرِفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ      لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا<sup>(٢)</sup>  
 إِنْ تَلَقَّهِ لَا تَلَقْ إِلَّا قَسْطَلًا      أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا<sup>(٣)</sup>  
 أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا      أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا<sup>(٤)</sup>

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ      حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلا لذلك .  
 (٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالأمر أن يعرف بالمشاهدة أهلك ألتة ، وكذلك شجاعة المددوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآيا : مفعول ثان .  
 (٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو انقسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فعال في غير المضاعف ؛ وأنشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :

وَلَنِعْمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ      وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ  
 وَلَنِعْمَ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا      وَالْخَيْلَ خَارِجَةَ مِنَ الْقَسْطَالِ

وقال آخر :

\* كَأَنَّهُ قَسْطَالٌ رِيحُ ذِي رَهَجٍ \*

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفقده ، أو راغبا في إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرهم . وقال الواحدي : ويجوز أن تكون هذه أحوال المددوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغبا في المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا      فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِيَا<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا      تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا<sup>(٢)</sup>  
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا      زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا<sup>(٣)</sup>

وَمَهْمُو هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا<sup>(١)</sup>

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .  
(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،  
وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى  
الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :  
أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ما تقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو  
بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،  
والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقيل ابن الأعرابي :  
القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهرى : اقمحدوة ما أشرف على  
القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي للقد ، ويقال : القذالان  
ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من  
السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب  
القذال ، ولعمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى      كالحكيشى      افتر      للضحك  
ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابيه      كطلعة      الأشمط      من جلابيه  
وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم  
كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك  
المتعرجين إن لم يهذبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّما كَيْسَى النَّهَارُ بِهَا دُجَى      لَيْلٍ وَأَطْلَمَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِباً<sup>(١)</sup>  
 قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَراً      وَتَكْتَبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كِتَاباً<sup>(٢)</sup>  
 أَسَدٌ فَرَّاسِهَا الْأَسُودُ يَقُودُهَا      أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسُودُ ثَعَالِباً  
 فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا      وَعَلَا فَسَمَّوْهُ عَلَى الْحَاجِبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذَّراً      وَدَعَوْهُ مِنْ غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِبِ  
 هَذَا الَّذِي أَفْنَى الثُّنَّارَ مَوَاهِباً      وَعَدَاهُ قِتْلًا وَالزَّمانَ تَجَارِباً<sup>(٤)</sup>  
 وَخَيْبُ الْعُدَالِ فِيمَا أَمَلُوا      مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِباً<sup>(٥)</sup>

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار البس تلك العجاجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أسرتها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . بقوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :  
 فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الْأَرْضِ الْفَضَاءُ بِهِ      كَاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ  
 وقول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمْسِنَا      وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ  
 (٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .  
 الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالمدو ، وتكاثر فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .  
 (٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِداً      دَرَى كَيْفَ يَرْتَقِي فِي الْمَعَالَى وَيَصْعَدُ  
 وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثلا كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »  
 الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) الثنار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تميز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي في المستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لانه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .  
 (٥) وخيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا      مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا<sup>(١)</sup>  
كَالْبَذْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفْتِ رَأَيْتَهُ      يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا<sup>(٢)</sup>  
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا  
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا      يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح ثَانِيهَا - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . وبعد : فان أكثر ما استعمل العرب الكف مؤثثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كفف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كِفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضُرٌّ      وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها  
وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ      وَآخَرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ  
وقالت الحنساء :

فَا بَلَغَتْ كَفٌّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ      بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ  
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً      وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ  
أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا      يَفْضُمُ إِلَى كَشْحَيْنِ كَفًّا مُخَضَّبًا  
فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كَشْحِهِ .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - يعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروایتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والمآل على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الماء فى منه . والنصب يحمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حيثما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الْمَلَا وَهُوَ غَائِبٌ      وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا

(٢) الثاقب : اللقىء . يقول : حيثما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم

أُمُجِّنَ الْكُرْمَاءَ وَالزُّرَى بِهِمْ وَتَرَوْكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمٍ عَاتِبًا<sup>(١)</sup>

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ  
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْمُعْصِبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ  
وله أيضا :

عَطَاءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ  
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : المهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربى ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذه المناسبة نقول : إن المهجنة في الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

الْعَبْدُ وَالْمُهْجِنُ وَالْفَلَنْقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَسُّ

والأقواف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْزَةٌ عَرِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَنَفْلُ

فَإِنْ نَتَجَّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال في اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرته به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرٍ قَدْ قَلَّتْ فِيهِ غَيْرُ مَا تَعْلَمُ

وقال الآخر :

وَأِنِّي عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنَا مُسْتَدِيمًا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبَا      وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنْ مَثَالِيَا<sup>(١)</sup>  
 كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِبَا      إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِيَا<sup>(٢)</sup>  
 تَذِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ      وَهَجُومُ غَيْرٍ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا<sup>(٣)</sup>

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وتروك مبالغة في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، ويروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتهم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشيد البناء : إحكامه ورفعه ، والبناء اللشيد بالشديد المطول ، أما المشيد فهو : اللبنى بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل اللشيد واللشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالشيء : عرفته . والمناقب : المفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ تَجَدَّدَتْ مَتَى يَفْرَحُوا بِهَا      مَحَاسِنُ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٢) لييك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيط الحاسدين : منادى ، والراتب : الثابت القيم ، ونخبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه ببناء مناد . أى كأن المدوح يناديه بلسان كرمه للتتويه به . وسماه غيط الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرع البيت لا تنقله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من عجائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وخنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الغر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا<sup>(١)</sup>  
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يَدْهَشُ الْمَلِكَ الْخَفِيفُ الْكَاتِبُ<sup>(٣)</sup>

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلا في موضعه ، فتدبر الملك تدبير  
مجرّب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :  
وَجُرَّ بُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَغَارُ  
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَامِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا  
وقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مَجْرِبِ  
(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعداء : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب  
أنفقت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التثنييل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى  
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرني  
في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالي . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنأى - وهو  
ممدود - ضرورة . قال العكبري : حكى ابن سعد عن أبي الطيب - وهو على بن سعد ،  
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفي بعد المائتين ،  
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلاثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً  
في شعري إلا هذا الموضع - خذ من ثنأى - وذلك أنه رأى بخط أبي الفتح - ابن جنى - :  
\* وقد فارقت دارك واصطفاك \*

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم  
أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :

أَثْنِي عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أَثْنِي عَلَيْكَ بِمِثْلِ رِيحِ الْجَوْرِبِ

وخص بعضهم به اللدح .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشاً ، فهو دهش



وقال يمدح بدر بن عمار ارجالاً وهو على الشراب والفاكهة والرجس حوله :  
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَاطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضَرَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حِدَتُهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرُّقَابُ<sup>(٣)</sup>

ودهش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش  
 الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دهش وشده ، والله العاليه :  
 دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسنه  
 وسياته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحصيها وأتّى بها ، وأقل من ذلك  
 ما يهيّر الملك للموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجرى عن كتابته .  
 (١) يقول : هو تمام ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنقص  
 منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الأيات مضطربة  
 الوزن ، وهى من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو فى الأصل فى المداورة ،  
 ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا مخدوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :  
 مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بِمَذَكِ الْقَطْرِ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ<sup>(١)</sup>  
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .  
 (٢) جملته هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا يهاها كالشيء الواحد ،  
 على حد قول الخنساء :

تَرَنَعُ مَارَتَمَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ  
 « تصف الخنساء وحشية تطلب ولها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا  
 لكثرة ما منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو  
 المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حدته . يقول : إنه لا يجيل  
 رفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدى جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الاتضاع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذَّنَابُ<sup>(١)</sup>  
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مَنْ لَا يُتْرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ<sup>(٢)</sup>  
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرًا  
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ<sup>(٣)</sup>  
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوَلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ<sup>(٤)</sup>  
 بِأَبَى رِيحِكَ لَا نَزْجُسْنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup>

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء - أى الفرس الكريم .  
 قل : يقول التنبى : إنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته  
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليستريح منهم لأنه آمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه  
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم انقتل ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية  
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :  
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهية ، وجواد غاية فى الجود ، فإنه يهاب هية من لا يرجى  
 العفو عنده ، وبجود جود سمع كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهايته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ماستر  
 به المرأة وجهها . يصفه بالخذق فى الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو  
 مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

\* يضع السنان بحيث شاء محاولا \*

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن  
 وقع فيه

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الزرجس « الذى  
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يمدح به الرجال : أى وإنما يخاطب  
 بمثله المحبوب . .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا      غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابُ<sup>(١)</sup>

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجَى      عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ  
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ      وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ<sup>(٢)</sup>  
وَأُوْهُمْ أَنْ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي      وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ انْتِصَابِي<sup>(٣)</sup>

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعرب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العرب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العرب جنس غير مدفوع . قال ابن جني : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن السبق العرب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يترن البيت بأن يقول :

\* قط لا يدفع عن سبقِ عرب \*

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عرب من غير مدفوع عن السبق العرب ؟ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : اللص ، وأصله أن تستقصي مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضاب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف مائه كما يرشف العاشق ريق الممشوق .

(٣) يقول : إني أنما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومضاه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جرد حل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جني : إن هذه الآيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبغداد .

سَأْمُضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَنِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِذَا بِي<sup>(١)</sup>

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صبورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَاذَا الْمَعَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ      سَيِّدَنَا وَأَبْنَى سَيِّدِ الْعَرَبِ  
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ      وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبْ<sup>(٢)</sup>  
أَهْذِهِ قَابَلَتِكَ رَاقِصَةً      أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنْ التَّصَبُّ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرَم التميمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأفذه إلى أبي الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقٌ ضُرُوبًا      فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبًا<sup>(٣)</sup>  
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي      فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟<sup>(٤)</sup>

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أى بكل مسألة يعجز الناس عن يانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه آيات رديئة عملها ارتجالاً في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتمهيد للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض التراح إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أى ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ماتسكن نفسك إليه وتهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسى هو قتل أعدائى ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفى قلبي كما يشفى قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنْظُرُ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ ، وَالنَّعِيَا <sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقْ لَهَا جُيُوبًا <sup>(٢)</sup>  
 أَدَمْنَا طَنَمَهُمُ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُمُوبًا <sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِييَا <sup>(٤)</sup>  
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِييَا <sup>(٥)</sup>  
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا <sup>(٦)</sup>

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما ، وانصب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب ؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدث به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند الصية ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق اقميص ؛ وعند العامة : كيس يغط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فمه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتلتطخ بها وتحف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل . بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون للمنى أن الدماء اسودت على القتل ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة .

(٣) الكموب : جمع كعب ، وهو ما بين الأنوبتين من القناة . يقول : لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كموب الرماح فيهم فاختلفت في أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) اتعوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والججمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صفها تسقى اللبن في أحفاف رؤسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الحيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ما ليس مقتلا ؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزُونَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا<sup>(١)</sup>  
أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ الْفَجَرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يَرَايَ مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبًا<sup>(٣)</sup>

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلى :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاحُهَا

« أى إن من القول كلمة لاتشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء للمعلوم ، والضمير للخليل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب : خاض حربا أخرى .

(١) الخزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمخ لها بأنفه ، واستعيرت للكبر . وتنمر . صار كالنمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أأصاب — بهمزة التسوية — يقول : إذا غضب على أعدائه وقتلهم لا يبالي أقتلهم أم قتلوه .

(٢) الهمزة فى أعزى : للداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع . يقول . — مخاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويغشى أن يصيبه بمكرهه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من النعيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : الليل . شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيبا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ الْجُوءَ قَامَتْ مَا أَقَامِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ دُجَاهُ يَمُجِّدُهَا سُهَادِي فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَفِيئَا<sup>(٣)</sup>  
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي  
أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا<sup>(٤)</sup>

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنتهى ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما تزين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدى ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضмир من سواده الليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سهاد يطول والليل يطول معه ، فكأن سهاد يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسهاد لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إني أقلب أجفاني فى ذلك الليل ، ولكثرة تقليبى إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفتى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَى فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِدُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصٍ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ      بَظَلُّهُ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا<sup>(١)</sup>  
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ      أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا<sup>(٢)</sup>  
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخَدَنَانِ حَتَّى      لَوْ اُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَفِيبًا<sup>(٣)</sup>  
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ اُمْتَطَلَيْنَا      إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ اُخْطُوبًا<sup>(٤)</sup>  
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا      وَلَا يَنْفِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا<sup>(٥)</sup>  
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا      فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيدًا<sup>(٦)</sup>  
إِلَى ذِي شَيْمَةٍ شَفَعْتُ فَوَّادِي      فَلَوْلَاهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبًا<sup>(٧)</sup>

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس لى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أى يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .  
(٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب مئ فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحول له الحياة حتى يقتل حساده .  
(٣) الخدنن : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الخير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .  
(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقعدناها لقلة ذات اليد أدتقن الحن والشدائد إلى المدوح ، فكانت مطايا ركنهاها إليه .

(٥) و (٦) رمت الإبل : رعت فى مجبوحة وخصب ؛ والجديب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا ينفى أحد ركوبها ، وهى لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتنا منا . فما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديداً لأنها رعتنى وأنت على فلم ترك منى شيئاً .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتى جبا وشفقتى ؛ والمعنى تيمنى وبلغت منى ، وشفقتى : من شغاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء فى الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتى بحسبها . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .



تَنَازَعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ      وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهِ الرَّشَّاءَ الرَّبِيَّاءَ<sup>(١)</sup>  
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ      أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبًا<sup>(٢)</sup>  
وَشَيْخٌ فِي الشَّابِّ وَلَيْسَ شَيْخًا      يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيئَةَ<sup>(٣)</sup>  
قَسَا فَأَلْأَسَدُ تَفَرَّعُ مِنْ قَوَاهُ      وَرَقٌّ فَتَحْنُ تَفَرَّعُ أَنْ يَذُوبًا<sup>(٤)</sup>  
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا      وَأُسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبًا<sup>(٥)</sup>  
وَقَالُوا ذَاكَ أَرَمَى مَنْ رَأَيْنَا      فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْفَرَضَ الْقَرِيَّاءَ<sup>(٦)</sup>

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشاء : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والربيبة : المربي . يقول : إن كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشاء شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الناية في المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أى ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ الشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قدرق طبعا وكرما حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء : وهى الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبتشا وهبوا : نضا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) الفرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأينا

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا<sup>(١)</sup>  
 إِذَا نُسِكتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبْنَا بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا<sup>(٢)</sup>  
 يُصِيبُ بِيَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَتْ قَضِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
 بِكُلِّ مُقَوِّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا لَهُ حَتَّى ظَنَّنَاهُ كَيْبَا<sup>(٤)</sup>  
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَبَيْنَ رَمِيهِ الْهَدَفَ أَلْمِيَا<sup>(٥)</sup>

رمى السهام ، قلت : إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه  
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :  
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المنيات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب  
 المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونسكت : قلبت على رأسها  
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا  
 مطلق الأثر ؛ والأفواق : جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت  
 كِنَانَتُهُ وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً في نصوله لسرعة رميه ورميه إياها  
 على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها  
 فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية  
 كالقضيْب . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثاني ، ولأن  
 النصال إذ ذاك لا تقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل : السهام ، لا الحديد بخصومه .  
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أي يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :  
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فعيل  
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه  
 ناراً بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة مهوره يشبه حفيف النار  
 في التهاهما ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف  
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِييًا<sup>(١)</sup>  
وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمَلُّهُمُ دَيِّبًا<sup>(٢)</sup>  
وَمَارِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَفْنُهُمُ فِي التُّرْبِ طِييًا<sup>(٣)</sup>  
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِييًا<sup>(٤)</sup>

كأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْجَا<sup>(١)</sup>

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانٍ أَتَمَّا وَهَلْ عَشْتُمَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَا نَعَمْ مَتَنَا جَمِيعًا وَضَمَّنَا ضَرِيحًا وَأَحْيَانَا دَيْسَ بْنَ مَزِيدٍ

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ بحمرته فيقال : كأن لحية ضرام عرجفة .

تَبِمَنَى وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنْشِدَنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيْبِ<sup>(١)</sup>  
فَاجْرَكَ إِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى السَّيِّحِ بِهِ طَبِيبًا<sup>(٢)</sup>  
وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيًّا<sup>(٣)</sup>  
فَلَا زَالَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا<sup>(٤)</sup>  
لَا صَبِيحَ آمِنًا فِيكَ الرِّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا<sup>(٥)</sup>

(١) تبمنى قصدنى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله  
قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الثامى للقلب بالمشوق  
قال : كنت عند للتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فَوَادَى قَدْ انْصَدَعَ وَضُرِّى قَدْ انْقَلَعَ  
وَالْيَالِ عَلَى قَدْ انْهَوَى وَمَا رَجَعَ  
يَا حَبْ ظَبْيِ غَنَجٍ كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعَ  
رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ كَوْتِهِ قَدْ اطْلَعَ  
فَقُلْتُ تَهْ تَهْ تَهْ وَتَهْ قَالُوا لِي مَرَّ يَالْكَعْ  
هَاتِ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ  
وَضَعْ بِكَفِّ وَفِي جِيبِي أَدْعُكَ أَنْ تَضَعَ

فهذا الذى عناه للتنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالسيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليدأوى  
السيح الذى يحى الموت ويبرىء الأكمه والأبرص ، وإذا فلا حاجة به إلى طبيب ؛ ولا سيما  
إذا كان الطبيب عيلا .

(٣) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعة ، يدعوه بأن لا تزال دياره مشرقات بنوره  
وبأن لا يشرف على الغروب : أى لا يموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها  
لا تعريك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزا فىك ، فأنا أدعو الله أن يعيك الرزايا لأصبح  
آمنا فىك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما  
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلْجُلْسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا      مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَ الْأَدَبَا<sup>(١)</sup>  
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالٍ ذَارِهًا      وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالٍ ذَارِهًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ يَهَابَكَ مَا لَا حِسَّ يَرُدُّهُ      إِنِّي لَا نُصِيرُ مِنْ شَأْنِهِمَا عَجَبًا<sup>(٣)</sup>

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا      فَقُلْتُ لِمَ لَيْكَ إِنَّ مَعِيَ السَّحَابَا<sup>(٤)</sup>  
فَقِسْمٌ فِي الْقُبَّةِ لِلْمَلِكِ الْمَرْجَى      فَأَمْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابَا<sup>(٥)</sup>  
وأشار إليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلَطِيبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ      كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبَا  
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا لِلْمَالِ      كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَا<sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن  
الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسن الأدب تميزاً فإنك إذا صعدت إلى  
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل بهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجعا ، وإليك بمعنى أكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا  
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم — البيت  
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة  
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقراً إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب  
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بك لمطاهر العلوى ، وهو من نسل الزهراء كريمة  
سيدتنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بك ينفر الذنوبا .

وقال وقد استحسّن عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْسِنَهَا مُثَلَّةً وَلَوْلَا الْمَلَاخَةُ لَمْ أَعْجَبِ<sup>(١)</sup>  
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيَّهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ<sup>(٣)</sup>

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى<sup>(\*)</sup> :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ  
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظُ الْخَبَائِبِ<sup>(٤)</sup>

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أى لم أقل ما أحيسنها : أى لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القلة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .  
\* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طنج لم يزل يسأل المتنبي أن يخلص أبا القاسم طاهراً العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتكى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه .  
وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي : فسررت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلماً عليه ؛ ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلاً .  
ثم أنشد أبو الطيب غزل عليه — للوقت — خلعا نقيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس المدح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب ؛ فإني رأيت هذا التريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى التى بدأنيها للنهود ، والخبائب : جمع خبية ولحظ الخبائب أى رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ<sup>(١)</sup>  
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجَفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأُخْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ  
لَفَارَقْتُهُ وَالْأَمْرُ أَخْبَثُ صَاحِبٍ<sup>(٣)</sup>

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حق يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والغياب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبرة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تنظم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . راعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر الثابت على أشعار العين ولكن المراد بأعلى كل هدب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هدب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهود كان مغمضا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهود حملنا قوله كل هدب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُحِيطٍ  
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ  
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لو اصلمتوني : يعنى أن

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبِّي      مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ <sup>(١)</sup>  
 أَرَاكَ ظَلَنْتِ السَّلَكَ جِسْمِي فَمَقَّتْهُ      عَلَيْكَ بِدْرٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَوْ قَلَمَ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ      مِنْ الشُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ <sup>(٣)</sup>

من أهواء يعد عني ، ومن أجتويه يقرب مني لسوء صحة الدهر إياي ، فقله لفارقه :  
 أي لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِي يَفْرُؤُنِي      وَمَا لَا أَشْتَهِي إِلَيَّ يَأْتِي  
 وَمَنْ أَهْوَاءُ يُبْغِضُنِي عِنَاداً      وَمَنْ أَشْنَاءُ يَشْبَثُ فِي لَهَائِي  
 كَانَ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِنَارٍ      فَلَيْسَ يَسُرُّهُ إِلَّا وَقَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقه : كان الوجه أن يقول لفارقتي ، لكنه قلبه لأن من  
 فارقك قد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت  
 الأصحاب لأنه أراد خبت من يصعبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه  
 الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :  
 وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِمْ      وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ  
 فَاتَى الْأَمْرَيْنِ جِيعًا :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت  
 عني بعدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتعنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما  
 قال أيضاً :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْمَاجِرِيَّ هَجَرَ الْكَرَى      مِنْ غَيْرِ جَرَمٍ وَاصِلِي صَلَةِ الضَّنَا  
 (٢) أَرَاكَ أَظُنُّكَ ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر  
 يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :  
 أَظُنُّكَ حَسِبْتَ السَّلَكَ الَّذِي فِي قِلَادَتِكَ جِسْمِي لِمِشَابَهَةِ إِيَّاهُ فِي الدَّقَةِ خَلَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 تَرَائِبِكَ بِالْدرِ لِلنَّظْمِ فِيهِ لَثَلَا يَلَامِسُ صَدْرَكَ ، أي أن ولوعك بمشاققي حملك على منافرة  
 كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني التنبؤ البديعة .  
 (٣) يقول : لشدة مقامي نعلت حتى لم يبق لي جنان يحس به فلو ألقيت في شق



تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ      وَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ <sup>(١)</sup>  
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلٍ      يَطُولُ اسْتِغَايَ بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ <sup>(٢)</sup>  
يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً      وَتُقَوِّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ <sup>(٣)</sup>  
كَثِيرٌ حَيَاةَ اللَّزْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا      يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ <sup>(٤)</sup>

قلم ، لم يتخير بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد افتنوا في هذا المعنى كل الافتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بِي      فِي مُقَلَّةِ الْوَسْنَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ  
وقول الآخر :

فَأَسْتَبِقِ مَا أَجَبْتَنِي لِي فَلَمَّائِي      يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ  
مِنْ مُنْهَجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوتَانِهَا      فِي الْمَعِينِ لَمْ تَنْفَعِ مِنَ الْإِغْثَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبلرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه يياض ، والمحجل : قال أبو عبيدة : المحجل من الحيل أن تكون قوائمه الأربع يياض يبلغ اليياض منها ثلث الوطيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوين — وأغر محجل كما ترى من صفات الحيل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يئاز عن الأيام كما يئاز الفرس بالفرقة والتحجيل .

(٣) العوالى : صدور الرماح : أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم ييال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا أُتِقَى  
 عِصَاصُ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعُقَارِبِ <sup>(١)</sup>  
 أَنَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ أَعَدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ <sup>(٢)</sup>  
 وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ <sup>(٣)</sup>

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقي من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طُويلَ العُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُنْقَضَهُ إِلَى غَايَةِ تَرَى  
 قَالِ العُكْبَرَى : وَهَذَا مِنْ كَلَامِ الحُكَمَاءِ قُلِ الحَكِيمِ : أَوَاخِرُ حَرَكَاتِ الفَلَكَ كَأَوَّلِهَا  
 وَنَاشِئُ العَالَمِ كَلَّاشِيهِ فِي الحَقِيقَةِ لَا فِي الحَسَنِ :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عني فإنني لست ممن إذا خشي الهلاك صبر على الدل والهوان . جعل الأفاعي مثلا للهلاك لأنها تقتل بسماها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قال ابن جني : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبّه الأفاعي بالعظيمة والعقارب بالذل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعي لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تطبيقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعي مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقا ؟

إِلَى لَمْعَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ  
بَأْيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ ذَوَاتِي  
كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ  
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرْدَنْ فِنَاءَهُ  
فَتَى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجَدُوهُ  
كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَائِبِ<sup>(١)</sup>  
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رَكَائِي<sup>(٢)</sup>  
فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ<sup>(٣)</sup>  
وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ<sup>(٤)</sup>  
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأَبْتَدَالَ الرَّغَائِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإنني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا في وعلو همي فهي تيمموني وتنسل إلى من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابتى ذؤائبي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرحل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص . يقول . كما أن مواهب المدوح لم تدع مكاناً إلا أنه كذلك أنا لم أدع مكاناً إلا أتيت ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردّها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعبارة الخطيب التبريزي : كأنهم قد وردن عليه ورود الناس المشارب ليتفنعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتدال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادي : يروى العوالي ، وهي صدور الرماح .

فَقَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ  
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ <sup>(١)</sup>  
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ <sup>(٢)</sup> أَغْرَضَتْهُمْ مِنْ خُطُوطِ الرَّوَابِجِ  
أَنَاسٌ إِذَا لَاقَوْا عِدَى فَكَاثِمًا سِلَاحُ الَّذِي لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاحِ <sup>(٣)</sup>

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاءه يدعوهم إليه ، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنصه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعر : خبر ؛ وأصل النان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحي من أكفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين الملويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما الملويون فهم من ولد على يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والرواجب : واحدها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلى الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلى الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة للمساء بين البراجم ، والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكثرثون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم ؛ وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها رقيق والطف . وقال الواحدى : يجوز أن يكون السلاهب خيل المدوحين ويقال : فرس سلهب أى ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا اتصب اتلاب . « اسلهب : امتد ، واجلعب انبسط ولم ينقبض : واتلاب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بَنَوَاصِيهَا الْقِصَى فَجَحَّتْهَا      دَوَايِ الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ<sup>(١)</sup>  
 أَوْلَيْكَ أَحَلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ      وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُحُورِ الشَّبَابِ<sup>(٢)</sup>  
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَةَ بَيَوَاتِرِ      مِنَ الْفِعْلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِي أَتَى      أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ<sup>(٤)</sup>

(١) الضمير في نواصيا : للسهاب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أى أشرفهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ      فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ

وجتبا : أى جنن القسى : أى بلغت السهلاب القسى ؛ والهوادى الأعناق .

ودواي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطانها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وصلت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا      فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِلَالِ

فجزتكَ صبراً فى الوغى حتى اشتت      جرحى الصدور سولم الأ كفال

(٢) الشباب : جمع شبية ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازاً يَطْلُبْنَ شَيْئًا ذَاهِبًا      يَخْضِينَ بِالْحِنَاءِ شَيْبًا شَائِبًا

\* يَقْلُنَ كَنَّا مَرَّةً شَبَابًا \*

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكروهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع ؛ والفل ؛ الثلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أليك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من الصوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر ورداءته . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن على بن أبي طالب أبا المدح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدا صنوبر - أي منفرد أبتر لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأُنزل الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شئتك : فهو الأبتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تتعقد بالأباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا - وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبيا من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأُمى الأبطحي ، فلا أدري كيف تسموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبناثنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبناثنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ  
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ<sup>(١)</sup>  
وَمَا قَرَبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ<sup>(٢)</sup>

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :  
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ  
وقال أبو يعقوب الحريري :  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِمَجَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ  
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبُهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيهه والبيت كالتثمة لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت ياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

\* الناس ما لم يروك أشباه \*

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يبعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ<sup>(١)</sup>  
يَقُولُونَ تَأْيِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى

فَمَا بَالُهُ تَأْيِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ<sup>(٢)</sup>

عَلَّا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الدَّلُولِ بِرَاكِبِ<sup>(٣)</sup>  
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُذْرِكَ مَالَمَ يُذْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ<sup>(٤)</sup>

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضى الله عنه . يقول :  
إذا لم يكن العلوى تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدحوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،  
لأنهم يستدلون بتقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي  
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصل شريف ولكن فعله غير الحيد  
كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب  
إليه النجمون من السعد والنحس — ولكن للمدحوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل  
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً  
بما ينزله به من نعمته ، فلا يستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :  
تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر  
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر  
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أى  
قوله في الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والدلول النقادة التى تذلل لراكبها .  
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة للدلول لراكبها تسير به إلى كل  
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على  
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليف به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،  
ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى ؛ يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه



وَيُحْدِثُ عَرَانِينَ لِلْمُلُوكِ وَلِإِنِّهَا  
يَدُّ لِلزَّيْمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيهِ  
يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ  
لِمَنْ قَدَمِيهِ فِي أَجَلِ الرَّاثِبِ (١)  
لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ (٢)  
وَشِبْهُمَا شَبَهُتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٣)  
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِإِمَائِبِ (٤)

الله عليه من الفضل وعلو المعة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا  
وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق  
قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك  
(١) العرانيين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحدثي ؛ والمفعول الأول : نائب  
فاعل يحدثي - الذي يعود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانيين الملوك أحذية  
له يطرؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكنت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطائه .  
(٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ  
من قول أبي تمام :

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

(٣) هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن  
وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله  
وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شبت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شبهته  
بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثا .

(٤) اسم أن مخنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية :  
بمعنى الذي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق  
ونحوه بأقتل له مما ظهر لظمن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من ائقتل ، وهذا من قول  
أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ (١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمُقَاتِلُ

وقال ابن جني : ما الأولى زائدة ، والثانية بمعنى الذي ؛ واسم أن مضر فيها .

(١) الفرصة : لحة عند تنفض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وما  
فرصتان ترتعدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ<sup>(١)</sup>  
لَعَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ  
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ<sup>(٢)</sup>  
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيثَةً  
سَقَاهَا الْحَجَى سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ<sup>(٣)</sup>

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .  
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فليست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة  
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلاً وأسراً .

(٢) يقول : لعلك أيهذا المال المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك  
أو أطمعت الأعداء في محاربتة رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه  
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى :  
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل  
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،  
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في  
الشعر - كقول أبي حية النخعي :

كَأَخْطُ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ<sup>(١)</sup>  
وَقَوْلُ عُمَرَ ائْتُمَعِمِي تَرْمِي ابْنَيْهَا :  
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَاهُمَا<sup>(٢)</sup>

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر  
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه  
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي  
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوما ، وهو الشاهد .  
(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيِّتَ خَيْرَ ابْنٍ تَلِيدٍ أَبٍ بِهَا لَا أَشْرَفَ بَيْتٍ فِي لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ<sup>(١)</sup>

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيحًا نَدَى الْمِسْوَاكِ رِيْقَتِهَا كَمَا تَضْمَنُ مَاءَ الْمُرْنَةِ الرَّصَفِ<sup>(٢)</sup>  
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :  
أُنْجِبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَفَعِمَ مَا نَجَلَا<sup>(٣)</sup>

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحبوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا  
كَأَنَّهَا مُرْنَةٌ غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ  
والامتياع : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمرنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحا ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقتها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولد أنجبا ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ      حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ <sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شُكَّا فِي مَعَارِفِهَا      فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ <sup>(٢)</sup>

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زى : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - اللحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترضيه ، وكان قد قتل :

تَمْشِي النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ      مَشَى الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ <sup>(١)</sup>

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زى الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتحطيات النياق الحمر ، ومشمطات في اثياب الحمراء - - - - - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - - - - - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذى امتحنك بالسهر والعذاب ؟ يعنى أنهن دلهنك بمجهن حق صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حق كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْءَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ      وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ <sup>(١)</sup>

(١) قوله وهى لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتا ، فهى تمشى إليه مشى المذارى .

(١) جلاجل : روى حلاحل - ملحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضْفِي بَعْدَهَا بَقْرٌ  
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ<sup>(١)</sup>  
سَوَائِرِ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبِ<sup>(٢)</sup>  
وَرَبِّمَا وَخَدَتِ أَيْدِي اللَّطِي بِهَا عَلَى نَجْمٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ<sup>(٣)</sup>

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورشن الله السقام بعدى كما أورشني بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزني : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكمه في الجزم حكم النهى كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا<sup>(١)</sup>

والباء في قوله بضنى : للمقابلة ، وبى : صفة لضنى : أى ضنى حال بي أو واقع بي ، وبقر : فاعل تجزني : أى لا تجزني بقر بضنى حل بي ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتصيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هودجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشى . والنجم الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب و قتال ، فالييت في معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : في قوله : وأين الخ بمعنى النفي ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

(١٩ — المتنبي ١)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ  
 أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ<sup>(١)</sup>  
 أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَتِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا  
 وَخَالَفُواهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ<sup>(٣)</sup>  
 جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصَاحِبِ<sup>(٤)</sup>  
 فَوَادُ كُلِّ حُبِّ فِي بَيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذٍ لِلْمَالِ تَحْرُوبِ<sup>(٥)</sup>

- (١) يصف جراته في زيارة الحباب بعد أن ذكر منتهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .
- (٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولوى . وأنفى : أى أعود ، وأغراء به : ضربه وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيح لأنه يستترى عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافى . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .
- (٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .
- (٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن البر من آمن بالله » والأصاحب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .
- (٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فمساؤهم ينهب القلوب ، ورجالهم ينهبون الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسفهاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجَهُ الْحَضِرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجَهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ<sup>(١)</sup>  
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرُّيَةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
أَيْنَ الْمَعِزُّ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ<sup>(٣)</sup>

(١) الرعايب : جمع رعبية ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر  
يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء  
الحضر ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى  
البدو ؛ وانتطرية : للعاجلة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، وطرى الطعام :  
خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن  
أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقته ، لا يعرفن  
التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة المز - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : المعيز : اسم  
للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول المز والمعيز والأمعوز ، وواحد  
المز : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العز والجمع مواعز .  
والمز بالفتح والمز بسكون العين لفتان فصيحان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ،  
وقرأ الباقر بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -  
لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من  
نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأرطى - فى  
قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا  
الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال اللراء : للمعزى مؤتة وقال  
بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون للمعزى فى النسكة ، والآرام :  
لطبائى الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو  
فى حال إقبالهن . وقال بعض الشعراء : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير  
من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين  
تقع المعيز من الطبائى فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالطبائى تفضلها حيواناً  
وغيره .

أَفْدَى فِلَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا  
مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنِيعَ الْحَوَاجِبِ <sup>(١)</sup>  
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ <sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً  
تَرَكَتْ لَوْ نَ مَشِيْبِي غَيْرَ مَحْضُوبٍ <sup>(٣)</sup>

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضغ الكلام : ترك إباطه ، كأن التكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصيحات مبيّنات ، لا يمضغن كلامهن غنجا وتغننا كنساء الحضرة ، ولا يمضغن حواجهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

\* نَفَى الدَّانِيَرِ تَنْقَادَ الصِّيَارِفِ <sup>(١)</sup>

(٢) مائلة : شاخصة ؛ وىروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التموه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أنى لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شيبي دون خضاب : أى لم أموه شيبي كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

\* تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ \*

يصف ناقة تسرع فى المواجهر فيقول إن يديها لشدة رفعهما الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفى رديتها عن جدها وخصى المهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد فى الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد فى الصياريف والدراهم



وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِي  
 رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْدُوبٍ<sup>(١)</sup>  
 لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذْتُ  
 مِنِّي بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطِيتُ وَتَجَرَّبِي<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَفَسِي قَدْ يُوْجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ<sup>(٣)</sup>  
 تَرَعَّرَ أَلَمُكَ الْأَسْتَاذُ مُكْهَلًا قَبْلَ اكْتِهَالِ أُدِيًّا قَبْلَ تَأْدِيبِ<sup>(٤)</sup>

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمر في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخطاب ، إذ هو غير لونه . فقوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .  
 (٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخفت مني الشباب وأعطيني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :  
 وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَا طَوَتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي  
 وقول ابن المعتز :

وَمَا يُنْقَصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَأَلْبَاهِيَا  
 (٣) الحدأة : حدأة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه .  
 يقول : إن حدأة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتُ زَعَمْتُ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا  
 (٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأسْتَاذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : للعلم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مَجْرَبًا فَمِمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبٍ<sup>(١)</sup>  
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ<sup>(٢)</sup>  
 يُدَبِّرُ الْمُلُوكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ  
 فَمَا تَهْبُ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ<sup>(٤)</sup>

طبعاً دون أن يفيد من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحدادة ليست بمأنة من حلم.

(١) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كخرس — بالفتح — جرب في الأمور وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكمتها؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول التنبي: نشأ كافور مجرباً قبل أن يجرب — لما جيل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففها وكرما: مفعول لها.

(٢) التشيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصاد، ثم سمي ابتداء كل أمر تشيباً، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا: الملك، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول: إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها: أي أنه بعيد مرتقى المهمة.

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف، لا أنها داخلة في ملكته، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا النوب، إنما مملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام خصب.

(٤) يقول: إنه لهيئته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الموح في بلاده هبت مستوية رزية مرتبة إعظاماً له وإجلالا، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام الناس إياه وتسكهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له. وعبرة الخطيب اتبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له. فالضمير في أتنها: يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب: جمع نكباء، وهي الريح تهب في غير استواء.

وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ<sup>(١)</sup>  
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلٍ الرُّمَحِ حَامِلُهُ  
مِنْ سَرَجٍ كُلُّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَقْبُوبِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانٍ يَفْقُوبِ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ<sup>(٥)</sup>

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طنسه وعماه ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم أغمى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امتثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتم وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حامله : يعود إلى الخاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى: أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبرة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ والمعنى : يريد تفادى أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتهيج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجديه نالت مطلوبها ، فكانت غزته بجيش لا يفلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ<sup>(١)</sup>  
 أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كِتَابِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ  
 إِلَى غُيُوثٍ يَدِينُهُ وَالشَّائِبِ<sup>(٣)</sup>  
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ<sup>(٤)</sup>

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الحرب . قال صاحب اللسان : التجيب النصار ، وجيب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالسكر بعد الفار : أى إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصدته أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يقدرون أن يقدروا عليهم ولا الهرب لأنه يدركهم لاهالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهى الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألهمه به ؛ وفى الأثر : إن للنعم ضراوة كضراوة الحمر : أى إن له عادة طلبة لأكله كمادة الحمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : اللوت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجالة لقاء الموت وجراتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل فى الشائب تقوم مقام الضمير : أى إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول : يلومنى الناس على هجرى الغيث - يعنى سيف الدولة - وهم واهمون فى هذا اللوم ؛ لأننى تركت غيثاً إلى غيوث : أى أننى فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تعطر فيقول : لا منى الناس فى هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالى .
- (٤) يقول : إني هجرت إلى من يعطى الغطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن . وهذا تعريض بين بسيف الدولة . والدولت : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَقْدُورٍ بِهِ أَحَدًا      وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ<sup>(١)</sup>  
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ      ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ      مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقْرِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
 لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَقْدِرُ بِي      وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الْأَنْأَيْبِ<sup>(٤)</sup>  
 فَنَنْتَ الْمَالِكُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا      مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرُودِ السَّرَاحِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مفذور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يضر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحفه أو يسلب ماله ليفزع به للموفور الذي لم ينكب . يعنى أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يضر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أى ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أى كافور - في جيش أسود النبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الأرض - وحيلة يجدله : صفة لدى جيش ؛ وذامثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أم : أى في جيش أم النقع : أى أسود النبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إني وجدت ما في الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التى ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الغادرين بى كما بين ذلك في البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدربى - يريد الناس - وفى لى بحملها إياى عن موطن النذر إلى كافور ؛ وكذلك وفى لى الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنائب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنائب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المغاوز وفاتها حتى لو كان لها - أى للمغاوز - قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ<sup>(١)</sup>

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك بحمد في الخيل، والسراحيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبرة ابن جني : ضجت الفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعني أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصببت المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعني نفسه ، والمنجرد : الجاد في الأمور الماضى فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالى . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ  
وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجَدِّ مُؤَثِّلٍ وَقَدْ يَذْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤَثِّلُ أَمْثَالِي<sup>(١)</sup>  
وقال حاتم الطائي :

لَحَا اللَّهُ صُغْلُوكَا مُنَاهُ وَهْمُهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفَتِيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشَرْبِ غَبُوقٍ  
وَلَكِنْ فِتَى الْفَتِيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

(١) ما - في قوله ما أسمى - مصدرية ومجد مؤنل قديم له أصل ، والثائل اتخاذ أصل مال ، وقيل المؤنل : المجموع وقيل : المستمر المثبت  
(٢) لحاه الله : قبجه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير الذى لا مال له ، وصعايلك العرب : ذؤبانها .

يَرَى النُّجُومَ بِمَعْنَى مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ (١)  
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ  
 تَلَقَّى الثُّنُوفَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحَجُّوبٍ (٢)  
 فِي جِسْمٍ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ  
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ (٣)  
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلَادِ الْجِي وَتَأْوِيهِ (٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكانها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن السلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حق ، وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يبتذلون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصُوعِكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ  
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحْجِبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفَرًّا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أوحال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي الفؤاد وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أي لكافور ؛ ولها أي للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إني أحمذك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلفتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْنَاكَ بِي يَا كُلُّ مَطْلُوبٍ  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ  
(١) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبٍ  
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ (٢)

---

(١) الغاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي  
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب لى ، وإني أعوذ بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ



وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (\*) :

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ <sup>(١)</sup>

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيْبًا تُقَرِّبُ <sup>(٢)</sup>

\* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يطلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو واقعنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتنع .

(٢) تنائى تفاعل ، من النأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأيته على أفعل ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطاً من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إِنِّى بِالْخَلِيلِ الَّذِى لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ

وإِنِّى بِالْمَوْلَى الَّذِى لَيْسَ نَافِعِى وَلَا ضَائِرِى فَقْدَانَهُ لِمُسْتَعٍ

ويقول الطرماح :

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِمَطْوِيعِ النَّوَى مَنْ أَحْبَبَهُ وَإِدْنَاءَ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث :

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبَغِّضُنِى عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصَّ نِى لَهَاى

وَلِلَّهِ سَرِيرِي مَا أَقْلَ تَنْيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالِي وَغُرْبِ<sup>(١)</sup>  
 عَشِيَّةَ أَحْقَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَبَّبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَمْ لِفِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبِ<sup>(٤)</sup>

(١) الثبئة التلبت والتحك قال الشاعر :

قِفْ بِاللَّيَّارِ وَثُوقَ زَائِرٍ وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

وثبئة : منصوبة على التمييز ، وأراد ما أقله ثبئة ، لحذف لضيق اللقاع والحدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والحدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرق : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحقى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحقى : أفضل تفضيل — من حقى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحق الناس بي جفوته وغادرتي ، وكانت أهدى طريق هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتصف خوفاً على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلاً ، يقول : إن ظلام الليل وقاك غائلة الأعْدَاءِ وأنت تسير فيما بينهم ليلاً فلا يصرونك وزارك فيه المبوب آتياً لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قديزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَالليلُ قَوَاد

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ      أَرَأَيْتُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرُّبُ<sup>(١)</sup>  
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغَرَّ كَأَنَّهُ      مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ<sup>(٢)</sup>  
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ      تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ<sup>(٣)</sup>  
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءِ أُذُنِي عِنَانَهُ      فَيَطْفَأُ وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْمَبُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفْنِيتهُ بِهِ      وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفاً من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئاً من جسد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأُلَا كَالشَّفَرَى أَضَامَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مد يديه ، وإذن ففى إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطنى مرحاً ونشاطاً ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والروح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير فى عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ

وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِّنْ لَا يُجْرِبُ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
 لِّمَا لَلَّهِ ذِي الدُّنْيَا مُنَاحًا لِّرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقَنَّبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَبِى مَا يَذُودُ الشُّغْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ قُلُّبٌ<sup>(٥)</sup>

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لقب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن : المعتر

تخال آخره في الشد أوله وفيه عذو وراء السبق مذكور

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالطجربة تعرف الكوادن من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ماعنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل للمعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترمها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرتة ، ومناخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بئس المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأناال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرده ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . رروا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكم لتبكيان حولاً قلباً إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَذَحَهُ  
وَلَمَّا لَمْ أَشَأْ تُنْصَلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمُّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ<sup>(٢)</sup>  
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْصَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً  
وَنَادِرَةً أَخِيَانَ يَرْضَى وَيَنْضَبُ<sup>(٣)</sup>

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أفلح يمنع الشعر ويلهى الخاطر  
عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر ؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخدمها خطراته ،  
وقوله يا ابنه القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن ، وإنما قال يا ابنه  
القوم إشارة إلى كثرة أهلها ، وقال ابن جني : هو كناية عن قولم يا ابنه الكرام .  
(١) يقول : إن خلأني كافور من الظهور وانباهة بحيث تنفي عنه لها هو إلا أن  
تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم  
أت بشيء من عندي ، وإنما هي أخلاقه تلى على . وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا  
اللعن فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة يغور لها شعر الوليد وينضب  
على أنها إملاء مجدك ليس لي سوى أنه يُبلي عليّ وأكتبُ  
(٢) يم قصد يقول : إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه بعباياه  
وتفقدته إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم ؛ وفي هذا اللفظ يقول الأول :  
نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل  
فازال بي إكرامهم واقتادهم وإلطافهم حتى حبتهم أهلي  
ويقول أبو تمام :

هُمُ رَهْطٌ مِّنْ أَمْسَى بَعِيداً رَهْطُهُ وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بَغِيرِ بَنِي أَبِي  
(٣) يقول : إن أفضاله مفعمة غفلا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له في حال  
رضاه وغضبه لا يخلو منها في حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والساد  
وأصالة الرأي . والنادرة : الشيء النادر القريب ، ورواها ابن جني بلادة : أي بديهة .  
( ٢٠ — التي ١ )

إِذَا صَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ  
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ<sup>(١)</sup>  
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبَثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ<sup>(٢)</sup>  
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ  
فَإِنِّي أَغْنَى مِنْذُ حِينَ وَتَشْرَبُ<sup>(٣)</sup>  
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارٍ كَفِّي زَمَانِنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارٍ كَفَّنِيكَ تَطْلُبُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فاذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في الوعى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى في يد الضيف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِنَنَّ بِالسَّيْفِ كُلِّ غِلَاوَةٍ

ليمضى فإن الكف — لا السيف — يقطع<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أغنى منذ حين : أى أطربك بدمي ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذت سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجهه همتك ويقضيه كرمك .

(١) قوله فلا تفلن بالسيف : يقال غالى بالشئ وأغلى به إذا اشتراه بضمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ<sup>(١)</sup>  
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأُبْكِي مَنْ أَحَبُّ وَأَنْدُبُ<sup>(٢)</sup>  
أَحْنُ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنَقَاءَهُ مُغْرِبُ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو النَّسْلِ أَوْهُمْ  
فَإِنَّكَ أَخْلَى فِي فُؤَادِي وَأَغْـذَبُ<sup>(٤)</sup>

(١) ناط به كذا: أسنده إليه؛ والضيفة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيفة أو تفوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أى ما يحسنه جودك من الآمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاخكون من يحبون أمامى؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكى من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد التنبئ أن يغرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألفاق التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلة لا أصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصعده في السماء ميل فكان يتباه طائراً كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء للمغرب، وطارَتْ به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

وَلَوْلَا سُلَيْمَانُ الْخَلِيفَةُ حَلَّقَتْ بِهِ مَنْ يَدُ الْحِجَاجِ عَنَقَاءَ مُغْرِبُ

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأبعد. يذكر للتنبئ تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاء كما معاً لأنك أحب إلى منهم.

وَكُلُّهُ أَمْرِي يُولِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّهُ مَكَانٌ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ<sup>(١)</sup>  
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادَ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمُرُ أَمْوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمَذْرَبُ<sup>(٢)</sup>  
وَدُونِ الَّذِي يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا  
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِثَتْ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا طَلَبُوا جَدَّوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا  
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا<sup>(٤)</sup>

(١) أولاء جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحبتك وآثرتك على أهلي لما أسديت  
إلي من الجميل ، وطابت لي الإقامة بساحتك لما أقيمت فيها من العز كما قال البحري :  
وَأَحَبُّ أَوْطَانِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضٌ يُنَالُ بِهَا كَرِيمُ الْمَطْلَبِ  
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره في عجز البيت السابق .  
(٢) والحديد المذرب : أى الهدد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -  
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم  
الرياح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من الثبات الأمر عليك -  
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا  
منها إلى الموت لبقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى  
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال  
ملكك وفساد أمرك - الموت وهو قوله مالمو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم  
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة  
ما يرون وصعوبة ما يلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جني : دون ما يريدون من  
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون  
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل  
ما يقرحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،  
لأنه لا ينال بالاكتماب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعبرة ابن جني : إن راموا  
فضلك منعهم منه . قال ابن فورجه - معقبا على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان



وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمُوتُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا      وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ<sup>(١)</sup>  
وَأَظْلَمَ أَهْلُ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً      لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضِعاً      وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ      وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ مَخْلَبُ<sup>(٤)</sup>  
لَقَيْتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ  
إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ<sup>(٥)</sup>

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من يغلب وشع ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المتن قول الأول :

وإن يَتَقَسِّمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي      فلن يَتَقَسِّمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي  
ولله قول أبي تمام :

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً      إن كانتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ<sup>(١)</sup>  
(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظلماً من تقلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه . يقول : أنت الذي ربّيته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مريض ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً . فقوله ربّيت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي ربّي لكان أحسن ، ولكنه قال ربّيت كما قال كثير :

وَأَنْتَ الَّتِي حَبَّبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ      إِلَى مَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ  
(٤) يقول : وكنت لدى الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة الحلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والحلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .  
(٥) يقول . ذبّت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحميم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والحميم الأصل

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا عَدِمَ اللَّاقُونَكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَكِنَّ مَنْ لَاقَوْا أَشَدَّ وَأَتَجَبُ<sup>(٢)</sup>  
 ثَنَاهُمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ صَادِقُ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَيْهِمْ وَبَرَقَ الْبَيْضُ فِي الْبَيْضِ خُلْبُ<sup>(٤)</sup>  
 سَلَّتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبِ  
 عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ<sup>(٥)</sup>

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتنتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالتقى : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقصّر ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى نفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهياة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير فى يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك فى الحرب لم يعدموا بأساً وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأتجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لزفر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر ، غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لأنها تقطع الجناح فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ فى السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تفرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجالة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض فى السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم وربة ورهبة . وقال بعض الشراح :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ      إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ<sup>(١)</sup>  
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِجُّكَ قَدْرُهُ      مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا طَرَبَى كَمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا      لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي      كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ<sup>(٤)</sup>

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،  
فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التاءين - أى تتناهى . يقول : إنك فى غنى عن  
الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنتهى إليك وتعزى - إذ  
كنت أصلا لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفا يغنيك محوده عن النسب . وليمحظ أن  
هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،  
ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سيما للولك ، لانه أشبه بنى النسب  
عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ      تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجْدٍ مُؤَثِّلٍ  
وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى  
عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لانك فوق كل أحد . قال  
التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .  
(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى  
كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به  
لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤبة القرد وكل ما يستملح  
ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت  
على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعري وهمي يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى  
عليك ، فكانت أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلا لأن ألام . وهذا المعنى من  
قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَحِي      سَوَاكَ بِأَمَالِي فَحِجَّتْكَ تَائِبًا  
وقال الواحدى : المصراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ  
أَفْتَشْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ<sup>(١)</sup>  
فَشَرْقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ  
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَغْرِبٌ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ  
جِدَارٌ مَمْلُؤٌ أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

ليس في البيت هجاء ومعناه أن همته عدلته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؟ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريقى إليك ، لجيت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب نهبا . يعتذر للتنبى إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامى حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبى تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا  
(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى

ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان الدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مَقَوَلِي وَثُبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خَضَابُ      فَيَخْنِي بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ<sup>(١)</sup>

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكنى لي : وصف لمنى ؛ وللى : جمع منية ؛ والقرون : صفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلي      كليل الأحصانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمتع بالشيب من قديم ليخفى شبابه بايضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

( هذا ) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحويًا للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب

\* منى كنى لي أن البياض خضاب \*

قال العكبرى :

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تنبّه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، وزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كنى لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير التكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كنى لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كأنه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شببته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع فى قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التمنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقلة لأنها للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التمنى وما شاكله على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتمنى من حيث تعلقت هذه اللعانى بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تمنى ابتغى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ريعة أو مضر<sup>(١)</sup>

قيل لا يتمتع وقوع التمنى على أن الثقلة ، كما لم يتمتع وقوع وددت عليها ووددت وتمنى بمعنى واحد . وفى التنزيل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كن وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحق أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فذهب سيويه والافخش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحق أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك ذاهب ، فتنبأ أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندل تهذؤكم إياى وسط المجالس<sup>(٢)</sup>

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعد

فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر  
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان عهداً ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّائِي فِتْنَةً وَفَخَرُّ ذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ<sup>(١)</sup>  
فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي  
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ<sup>(٢)</sup>  
جَلَّ اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ  
كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَابَابُ<sup>(٣)</sup>

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف للتقدم حكاه عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كموضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعب : هو العيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصل ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يفت عن النساء ويرغب عن صالحهن .

### \* وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّيْبَةُ أَزْرَقُ \*

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح  
(٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سمت في هذا سمت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ  
فَالْكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَمَّدُ  
(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجباب : انكشف ، والاضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوماً : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الحزنة تحقيقاً وافياً لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العسكري فراجع إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ  
 وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
 لَمَا ظَفَرُ إِنِّ كُلَّ ظَفَرٍ أُعِدُّهُ  
 وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا  
 وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْمُنِيرِ وَهِيَ كَكَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي  
 إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ<sup>(٤)</sup>  
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي  
 إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ<sup>(٥)</sup>

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوئه .  
 (١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشرات البيض في وجهه كانت حرايا . والماء في قوله منه : للجسم .  
 (٢) يقول : إن كل ظفرى ولم يبق في فمى ناب من الكبر ، فحق لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبرى : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم  
 (٣) غيرها استثناء ، والكعاب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسى شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمى .  
 (٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بى أصحابى وكنت لهم كالنجم الذى يهتدى به ، يريد أنه خريت خيرا بالفلوات . والصحة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحبى به .  
 (٥) يستفزنى : يستخفى ويحركنى . يقول : إنى غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندى سواء ، فإذا غادرت وطناء لم يستخفى حب الرجوع إليه .



وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ    وَإِلَّا فَنِي أَسْكَوَارِهِنَّ عُقَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَصْدَى فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً    وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَلِلسَّرِّ مَنَى مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ    نَدِيمٌ وَلَا يُنْفِضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَلِلْخُودِ مَنَى سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا  
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَابُ<sup>(٤)</sup>

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إِنْ سَاحَتْ بِهِ ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأسكار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غنى كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفيافي دون أن أحتاج إلى ما يحملني

(٢) yeemalat : النياق النجبة المتملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفيافي الجارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتي إلى الماء تصبرا وتجلداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرْراً    إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلفه في البدن كما قال مسكين الدرمي :

يُظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسَرْمَ    إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَنَ الرِّجَالُ انْصِدَاعَهَا

وقد نظر المتنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تَغْلُفُ حُبٌّ عِثْمَةٌ فِي فَوَادِي    وَبَادِيَةٍ مَعَ انْخِلَافِي يَسِيرُ

تَغْلُفُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ .    وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجاب : تقطع . يقول : إنما أصحب للراة قدرا يسيراً ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلا أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمن في الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ<sup>(١)</sup>  
وَعَبْرُ فُؤَادِي لِلْفَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ<sup>(٢)</sup>  
تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ  
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِمَا<sup>(٣)</sup>  
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِمَا<sup>(٤)</sup>

(١) الغرة : الغرور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويرى قصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تنقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهويها ويغلبها على رشدها .

(٢) الفوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الخمر يدي . ويرى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست بمن يلعب الشطرنج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القندح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حملها ، وأيضا فإنه كلمة أمجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الغزل من اللعب بالشطرنج

(٣) اللعب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلاعب — بالفتح اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعب — بكسر التاء — وتلاعب وتلعب : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرته : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الحذر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكما : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وننقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ  
وَحَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابٌ<sup>(٢)</sup>  
تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابٌ<sup>(٣)</sup>

وكنْتُ إِذَا مَا انْخَلِصْتُ شَمْسُهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا  
هذا ورواية حواضر هي رواية ابن جنى ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف  
يصفها بالحذر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية  
بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواضر أى تميل عن الطمن وتحذره  
بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطمن . وقوله انقصت فهن  
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطمن  
فلما كثرت الطمان عليها وألفته طارت تحذره وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد  
تحذر الطمن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونهم يصيبها من الطمن قليل  
وتسلم لحذرهما من طمن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس  
هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب المعالى أو محاربة الأعداء لدفع شرم ، أو للهرب من  
الضيم واحتمال الدل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر  
ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آذابه وكل ما محتواه والله قول القائل :

مَا تَعَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسًا

(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :  
الكثير للماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول .  
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عَمْرِ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بَحْرَ خَضَمٍ

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره :  
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر . بالجر - عطفا على جليس :  
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت فى حسن الثناء عليه استحق

وَعَالِبُهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بَيْضَ السُّيُوفِ رِقَابُ<sup>(١)</sup>  
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى أَبَا الْمُسْكَ بِذَلَّةٍ إِذَا لَمْ تَصْنُ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ<sup>(٢)</sup>

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحترى :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء  
وقال ابن جني : هذا من المدح الذي كاد أن يتقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول  
أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم « من العنوة »  
وهي القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا  
كلهم رقاب إذا غلبت السيوف أضمت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول :  
وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الابدان شيء من الثياب إلا  
الحديد : أي إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعني أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى  
الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيْبَةٌ مَلُومَةٌ شَبَاهُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نَهَالَهَا

كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا يَسِرُ جُنَّةً بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَلَهَا<sup>(١)</sup>

هذا ، وقد ذهب ابن جني إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق  
الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطمع فجعل الثياب كما ترى  
تصون الحديد . قال العروضي يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما التفتي  
جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن الثياب إلا الحديد يعني الدروع ، وإنما  
يريد التفتي لانه المستثنى وأنشد بيت الكمي .

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة ملومة مجتمعة : وشبهاء لما فيها من يياض السلاح والحديد ، ونهالها  
عطاشها ، واللجنة ما وراراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعطى : حال .  
ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتي شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْفَذَ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابٌ<sup>(٢)</sup>  
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ<sup>(٣)</sup>  
أَيَّا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَنِيفٌ وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُنَّ كِلَابٌ<sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت : أكثر ما يلقي هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم فى أول الكتيبة يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماء من أصحاب المدوح ، وليس فى هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان فى مأزق متضيق فى الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضيق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرُونَ على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطمعه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، ومهتك همه الأسود - والأسد موصوف بجوار الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ اللَّيْثِ لَا شَمَّ مَرَّغًا وَلَا نَالَ قَطِ الصَّيْدِ حَتَّى يُعْفَرًا<sup>(١)</sup>

(١) أى أنه لا يطمع إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يومَ الكريهة في الملسوب لا السلب

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة ؟  
أى كم من ملك يشبه الاسد في قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة  
العكبرى هنا كلمة في النادى أوردتها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لنفسها  
ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا تغفل شيئا مما أوردته جميع النراح . قال العكبرى : أيا  
أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود ؛ لأنه خصصه ؛  
والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا جبال  
أوبى معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جملا . عطفنا  
على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفنا على  
موضع الجبال لأنها في موضع نصب ؛ الثانى : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون  
مفعولا عطفنا على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا » ؛ واختلف  
البصريون وأصحابنا الكوفيون في النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم  
وموضعه النصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ،  
وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولا في المعنى ولم  
نخفضه لثلاث يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم نصبه لثلاث يشبهه مالا ينصرف فرفعناه  
بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه  
لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوبا فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالا من  
غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل  
أن يكون معربا - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه  
الأوجه ، فوجب أن يكون مبنيا ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن  
الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطبا كان ينبغى أن  
يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم  
النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنيا ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا  
على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ،  
بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُنْطَى حَقُّهُ وَيُهَابٌ<sup>(١)</sup>  
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقُّ يَلْطُهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُهُ وَطَالَ عِتَابُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ تُحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يِيَابٌ<sup>(٣)</sup>

لأنه كان يلتبس بالمضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقا بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافا إلى النفس كان مكسورا ، وإن كان مضافا إلى غيرها كان منصوبا ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالمضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أدعو زيدا ، وأنادي زيدا ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمالة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمر ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتفصّل حقا ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئا لمنعتك .

(٢) يَلْطُهُ : يمجده ويمطّل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تلطها : أى تتمنها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلطت حقه إذا جودته وربما قالوا تلطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلعت<sup>(١)</sup> . ويقال ألطه على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حتى . يقال : مالك تسينه على لطلته . وأعتبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يمجده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنمر : مطاوع عمرت السكان : إذا صيرته عامرا أهلا ، والياب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى المعائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزولهم في كفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو المندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا  
وَدُونَ الَّذِي أَتَمْتُ مِنْكَ حِجَابٌ<sup>(٣)</sup>  
أَقِلُّ سَلَامِي حُبًّا مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ<sup>(٥)</sup>

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك  
فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القرباب : قرباب السيف وهو عمده . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع  
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو  
بالتقاس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قرباب وأنت فيه السيف والمزية كلها للسيف  
لا للقرباب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى  
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنى  
بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعد ، لأنى لم أنل منك  
ما كنت أرجوه من الصنعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب  
عنى ؟ وهذا كلام بديع يفزو التنبى به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور  
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف  
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك  
أن تصبب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأن ترفعها على أنها لاتعمل ،  
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث  
تدر كها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية  
ابن أبى الصلت :



وَمَا أَنَا بِالْبَاعِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبْنِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاضِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ<sup>(٢)</sup>

أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِئِمَتَكَ الْحِبَاءُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ  
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِرَّكَ التَّقَاضِي  
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتُ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ  
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلَزُومُ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حيي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف . فقوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسر ها ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارتشى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لترقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشئ والرتشى والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذى يعينه على الباطل ، والرتشى : الآخذ ، والرائش : الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللأئى يلتنى على قصدى إليك أنى كنت مصيباً فى هواك ، وأنتك تفضل على وتبلغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حباؤك إن شيمتك الحباء .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّوْا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَنَرْتُ وَخَابُوا<sup>(١)</sup>  
 جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ لَيْتَ وَالْمُلُوكُ ذُنَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْتَ إِنْ قُوِيَسْتَ صَحَّفَ قَارِيءٌ ذُنَابًا وَلَمْ يَخْطِئْ فَقَالَ ذُنَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكٌ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحترى :

وأشهدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ مُؤَدَّى إِلَى حَظِّي وَتُنْتِجَ رُشْدِي  
 والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .  
 (٢) يقول : إن الخلاف جار في كل شيء إلا في أنك واحد مناز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذناب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :  
 لو أن إجماعنا في فضل سُودَدِهِ في الدين لم يَخْتَلِفْ في الأمة اثنان  
 ويقول البحترى :

وَأَرَى النَّاسَ مَجْمَعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ  
 فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك .  
 (٣) يقول : إذا صحف القاريء لدى هذه المقايسة لفظ الذناب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليت والملوك ذناب : لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .  
 (٤) الكذاب : الكذب ، يقال كذب يكذب كذبا وكذبا وكذبا .  
 قال الشاعر :

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

وأنشدوا :

نادت حليمة بالوداع وآذنت أهل الصفاء وودعت بكذاب  
 ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْنٍ      وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ  
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا      لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصَحَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ      فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ<sup>(٢)</sup>

وكيذهبان وكيذهبان ومكذبان ومكذبانة وكذببان وكذبب وكذبب . قال الشاعر :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنِّي قَدْ بَعَثْتُكُمْ      بِوَصَالِ غَايَةِ قُلُوبِ كُذُّبُ<sup>(١)</sup>

والكذب : جمع كاذب ، مثل رَأَى وَرَكَع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ      إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكَذْبِ الْوَلَعَةُ  
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْصَرُهُمْ      شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مُنِعَهُ  
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ      إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجُشْمَةُ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيمَكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ      فَلَمْ آتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ امْتَدَّحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبُ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أي لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجرا في الأرض أنتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والقي انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعني جملة - وقبله :

قَدْ طَالَ إِضَاعِي الْخَدَمِ لَا أَرَى      فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعْدٍ يَخْطُبُ

حَتَّى تَأْوِبَتِ الْبُيُوتُ عَشِيَةً      فَحَطَطْتُ عَنْهُ كُورَهُ يَتَنَابُ

فَإِذَا سَمِعْتُ بِأَنِّي قَدْ بَعَثَهُ الْخُ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أي يترك الحوب ، وهو الإثم ، كيتائم : أي :

يترك الإثم .

ومرّة في صباه رجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ      أَسِيرَ الْمَنَابَا صَرِيحَ الْقَطَبِ<sup>(١)</sup>  
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ      وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ<sup>(٢)</sup>  
كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَا فَتَنَّهُ      فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ      فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالي ذهاب عنك إلا إليك . وأورد المعبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جني : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن المعنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعا ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وبأشر ، وغل : خان من الغلول : الحيانة فى المغام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جیده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما اتفرد بجحد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهم والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما ثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون الثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فِي كَلْتِ رَجُلِيهَا سُلَامَى زَائِدَةٌ كَلْتَاهَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ<sup>(١)</sup>

فإفراده كلت يدل على أن كلتا ثنية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونسبا إذا أضيفت إلى الضمير ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كليهما ، ومررت بكليهما ، فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاها نحو رأيت عصاهما ومررت برحاهما . فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن ثنيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » وكقول جرير :

كَلَا يَوْمِي أُمَامَةٌ يَوْمُ صَدَّةٍ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا

فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كَلَاهَا حِينَ جَدَّ الْجَرَى بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي<sup>(٢)</sup>

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجلها يرجع إلى النعامه ، والسلامى : عظم فى فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل فى اليد والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير فى كلتاها : للرجلين ، والمصراع الثانى : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلاميات .  
(٢) من أبيات الفرزدق فى جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عسيده ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فغلبها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ الَّتِي أَقْبَلْتَ تَعْتَلُّهَا حَتَّى اتَّحَمَتْ بِهَا أُسْكُفَةُ الْبَابِ

كَلَاهَا . . . . .

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والناث

تعتلها : تجذبها جذبا غيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفى رواية : ما بال لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ، وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتي (\*):

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ<sup>(١)</sup>

فقال : قد أقلعا حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا في المضر والمظهر ، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضاقهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تمال في قراءة حمزة والكسائي . وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب \* كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دبلر بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يحاهر بشتهم ، فأرادوا أن يحيوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إنا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التي ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقَتَاتٍ سَبْهَلَةٍ وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُلْبٌ<sup>(١)</sup>

عن الجري ؛ ورابى من الربو وهو النفس العالى المتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افتراقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا في الجري ووفقا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاتة النجوم من التت وهو النجمة والكذب الهيا ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سهلاً ، وروى عن عمر أنه قال ، إني لأكره أن أرى أحداً سهلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة . وكل فارغ سهلاً ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أَلَامَ غُلْبَةٍ<sup>(١)</sup>  
 فَلَا يَمْنُ مَاتَ فَضْرٌ وَلَا يَمْنُ نِيكَ رَغْبَةٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حَسْبَهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِرْتَ لَوْ كُنْتَ نِيَبَةٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا مَيَّ ضَرْبَةٍ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَذْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّةٌ<sup>(٦)</sup>  
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِإْنِ أُمَّكَ قَحْبَةٍ<sup>(٧)</sup>  
 وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ  
 مَا ضَرَّهَا مِنْ أُنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُنْبَةٍ

(١) يقال بالك الحمار الأتان : نزا عليها ، والظبة : الغالبة جلهم كالخير في غشيانها بفحش .

(٢) يقول : فلا تغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإِنَّمَا قُلْتُ مَا أَصْفُوكَ رَحْمَةً بِكَ لِمَا أَصَابَكَ مِنَ الْقَدِّ وَالْعَارِ لَا مَحْبة لَكَ وَغَيْرُهُ عَلَيْكَ . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثأمة ، وليلحظ أن ضبة هذا من البناء بحيث لم ير للتنبي بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه . . . وإيضاً كان يكنى أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإِنَّمَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا مَحْبة .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالي واكثرث ، وتروى لو كنت تنبه . أى تعطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولي هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافي الأبيات الثلاثة استفهام إنكاري ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقحبة : البنى ، والفاصلة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، إِنَّمَا ذَلِكَ ضَرْبَةٌ وَقَعَتْ بِأَيْدِيكَ فَمَاتَ مِنْهَا ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من لجور أمك .

وَلَمْ يَنْكِهَا وَلَكِنْ يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٍ وَعَلْبُهُ يَنْشَشِي  
عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّةٌ (١) وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ  
وَيُلْزِمُ الْجَنْسَ ذَنْبَهُ لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ شَيْئًا  
أَحَبَّ فِي الْجَذْعِ صَلْبُهُ (٢) يَا أَطِيبَ النَّاسِ نَفْسًا  
وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا وَالَّذِينَ النَّاسُ رُكْبَةٌ (٣)  
فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تَرْبَةٌ تَبِيعُ أَلْفًا بِحَبَّةٍ  
لِمَزِيمٍ وَهِيَ جَبَّةٌ (٤) وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ  
مِنْ لِقَاءِ الْأُطِيبَةِ (٥) وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ  
وَحُرَّةٍ غَيْرُ خُطْبَةٍ (٦) يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ  
غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعَلْبَةٍ (٧)

- (١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه .
- (٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يجب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .
- (٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .
- (٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم اللعبة السهام .
- (٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يجب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجبالاً له .
- (٦) الهلوك : البنى الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالجرة المخطوبة إلى أهلها لافرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .
- (٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أي يكفيه ضيغ وعلبة ، والضيغ : اللبن للمزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراءه ؛ ولو كان هذا الضيف معلوكاً : يكتفى بقليل من الضيغ في علة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو كان معلوكاً لآمال معه يطمع فيه



وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنَبَهُ<sup>(١)</sup>  
 كَذَا خَلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْ يُبَالِي بِذِمِّ إِذَا تَقَوَّدَ كَسْبَهُ  
 أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعُولَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ<sup>(٤)</sup>  
 وَهَنْ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحِيرَاحُ رَطْبَهُ<sup>(٥)</sup>  
 وَكُلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدُنَ قُنْبَهُ<sup>(٦)</sup>  
 فَسَلْ فَوَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ<sup>(٧)</sup>  
 وَإِنْ يَخُنْكَ لَعْمَرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهُ<sup>(٨)</sup>  
 وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبَهُ<sup>(٩)</sup>

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أى وبأخوف كل رفيق الخ .  
 يقول : هو من القدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .  
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على القدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله  
 الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب .  
 (٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفحولها : كناية عن غرملها . والسنبه :  
 الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحرأح - جمع حر ، وأصله حرح - الفرج  
 (٦) القنب : وعاء القضب من ذوات الحافر .  
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من  
 العجب والكبر ؟ يعنى حين اختبأ وامتنع منهم بالحسن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .  
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أى خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك  
 على الإقدام علينا خوفا ورعباً - فلست أول من خان قلبه ، لأنه تعود خيانة  
 أصحابه .

مَا كُنْتُ إِلَّا ذُبَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَةً<sup>(١)</sup>  
وَكُنْتُ تَفْخَرُ نِيهَا فَصِرْتُ تَضْرِبُ رَهْبَةً  
وَإِنْ بَعْدَنَا قَلِيلًا حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَةً<sup>(٢)</sup>  
وَقُلْتَ لَيْتَ يَكُونِي عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَوْحَشْتِكَ الْمَعَالِي فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبَةٍ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ آتَسْتِكَ الْمَخَازِي فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَةٍ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَةٍ<sup>(٦)</sup>  
وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ<sup>(٧)</sup>

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جئنا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبتنا  
فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى  
كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالدباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى  
أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .  
(٢) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا  
مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب العطن وحده والنزلاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .  
(٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ،  
أما المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقربة .  
(٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الندر والشع ، فإن عرفت مرادى  
هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلاك  
وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من جهالك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت  
أنه جهاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما  
قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

آخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مُعْزَى بِهِ      هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ <sup>(١)</sup>  
لَا جَزَعًا بَلْ أَفْئًا شَأْبَهُ      أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ <sup>(٢)</sup>  
لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ      لَأَسْتَخَيَّتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ <sup>(٣)</sup>  
لَعَلَّمَا تَحَسَّبُ أَنَّ الَّذِي      لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ <sup>(٤)</sup>  
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ      لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ <sup>(٥)</sup>  
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ      مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ <sup>(٦)</sup>

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .  
(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه .  
يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والألفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماء ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .

(٤) يتندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقط عليها .

(٥) الذرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بمحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترات عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد الرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حريمه وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ      فَيَجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ <sup>(١)</sup>  
لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ      لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ <sup>(٢)</sup>  
يَنْتَسِي بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ      وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ <sup>(٣)</sup>  
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا      نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ <sup>(٤)</sup>  
تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا      عَلَى زَمَانٍ مِ مِنْ كُنْبِهِ <sup>(٥)</sup>

(١) أجفل : أسرع في الحرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا تترأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبق كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأييد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان بتلك الضجعة تبه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتُؤَا وَبَادُوا      أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَقَى  
وأصله قول متم بن نويرة :

فَمَدَدْتُ أَبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى      فَدَعَوْتَهُمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا  
وَلَقَدْ حَلِمْتُ وَلَا حِمْلَةَ أَنْفَى      لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أَجْزَعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناسو الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعاف رجوعها إلى أما كتبها .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَبْوِهِ      وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ <sup>(١)</sup>  
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى      حُسْنِ الْقَدَى يَنْبِيهِ لَمْ يَنْسِيهِ <sup>(٢)</sup>  
لَمْ يَرِ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ      فَسَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ <sup>(٣)</sup>  
يَمُوتُ رَاغِي الضَّانِ فِي جَهْلِهِ      مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ <sup>(٤)</sup>  
وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى عُصْرِهِ      وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ <sup>(٥)</sup>  
وَعَايَةُ الْفَرْطِ فِي سِلِّهِ      كَفَايَةُ الْفَرْطِ فِي حَزْنِهِ <sup>(٦)</sup>

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص للتهالك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا للمال إلى الزوال أو أنه مائت عنه لا محالة : لما تهالك على جمعه ، وهم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حققتها ؛ والعشق عَمَى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل ، معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمناً على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعله وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسيئات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثير الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم والمودة كمن بالغ في الحرب والمعاداة والتعريض بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ      فَوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ <sup>(١)</sup>  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى      كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ <sup>(٢)</sup>  
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ      كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ <sup>(٣)</sup>  
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَلَى عَيْشَهُ      وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ <sup>(٤)</sup>  
 يَحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَخَسَدُهُ      وَتَجِدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ <sup>(٥)</sup>  
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّيرُ فِي ذِكْرِهِ      وَيُسْتَرُّ التَّائِيثُ فِي حُجْبِهِ <sup>(٦)</sup>

كلاهما إلى الموت . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعنى إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ يحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهيابة الجبان . والضمير فى رعبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من اللدح الذى يشبه الدم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أى لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعنى للرؤية عممة عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف فى سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للعالى لا لحب العيش : فالضمير فى عيشه : للمرتى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المهد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هى أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها فى حبها وخدرها أنثى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما عما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومسايعها — من طلب للعالى وإيثار المعروف وإغاثة للملهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هى من شيم الرجال .

أَخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبَّ<sup>(١)</sup>  
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبَّ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ<sup>(٣)</sup>  
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٌ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ<sup>(٤)</sup>  
إِنَّ الْأَمْسَى الْقِرْنُ فَلَا تُخَيِّهِ وَسَيُفْكَ الصَّبْرُ فَلَا تُفْهِهِ<sup>(٥)</sup>

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أحبيه ، يقول : هى أخت  
ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للمراح  
أحبيه : أى يدعو الجيش فيحبه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة  
خير أمير دعاه جيش فقال للقنا: لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ وبشئ للستيث .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للثل بالقلب  
واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان  
أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة  
أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذف  
المتنبى ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين  
لآبائهم ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك  
يزينون آبائك كما يزين النور القضب .

(٤) غفرآ : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛  
كما فى قولهم : تبأ لزيد ؛ وللمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول :  
ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجياً بكونك من عقبه .

(٥) الأمسى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائلك فى  
السن أو القوة والشجاعة ؛ ونبأ السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن  
الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن للمعالي لك فلا تحبه بإعائته  
على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلاً . أى  
لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَدَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْمَقُودُ مِنْ شُهِدٍ<sup>(١)</sup>  
 حَاشَاكَ أَنْ تَضْمَنَ عَنْ حَمَلٍ مَا  
 تَحْمَلُ السَّائِرُ فِي كُتْبِهِ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلُ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَعْبِهِ<sup>(٣)</sup>  
 يَدْخُلُ صَبْرُ الرَّءِ فِي مَذْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ<sup>(٤)</sup>  
 مِثْلُكَ يَنْبِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ<sup>(٥)</sup>  
 إِيْمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِيْمَا لِنَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ<sup>(٦)</sup>

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن  
 تقعم للفقد أحدم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضم عن  
 حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأت أشد  
 إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة ، وإنما أراد تسكينه  
 فوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقل من الأمور قبل هذا الحادث فأغثت قوتك عن  
 جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل اشقل إذا هجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال  
 عتاب بن ورقاء :

وَجَرَّهُ إِذْ كُلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَفْظِهِ عَلَى شَفَا

واللحن : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تهجز عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الخوف والجزع ، والثلب ، القدم — ثلبه : فمه وعابه . يقول :  
 إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب  
 فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على  
 صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إِيْمَا : لمة فى إِيْمَا . يقول : يفعل ذلك إِيْمَا إِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ لئلا يضيع فضله  
 بالجزع ، وإِيْمَا لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .



وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْفِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ<sup>(١)</sup>

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَا لِفَيْرِ أَبٍ  
مُمٌّ أَمْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبٍ  
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً  
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَنِكَ بِهِ  
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن الثلث قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) ويك : هي ويك ، حذفت اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملق على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغفر أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض  
حِصَى مُنْصَرَفَه من مصر ؛ فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب ، فحملوا يسرقون له  
من أمتعه ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه  
وأمر الغلمان فأجهزوا عليه :

لَحَا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ  
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومُ ثَعْلَبٍ<sup>(١)</sup>  
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً  
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنٍ عَرِيسِهِ  
فَيَأْلُوهُمْ إِنْسَانٌ وَيَأْلُوهُمْ مَكْسَبُ<sup>(٣)</sup>  
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ  
هُمَا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرٍّ مَطْلَبٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كرهية الريح .  
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،  
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه تخرطوم الثعلب ، وهو أنه  
ولفه ؛ ولحاه الله . قبحه ولعنه .

(٢) يقول : إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى  
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لاعتى كلاله ؛ وأحسن من هذا ما رواه  
ابن جني .

\* على أنه فيه من الأم بالأب \*

أى أن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) المهن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلاً واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنِنِي الْفَدْرَ عَنْ تَوْسٍ طَيِّءٍ  
فَلَا تَعْذِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُكْذَبٍ<sup>(١)</sup>

---

هذه الحشرة الحقيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كن العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . والذيا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعذر وأن آباءهم ليسوا بخدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

## قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا  
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ<sup>(١)</sup>

(١) الحلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للبيت : اللهم اسدد خلته : أى الثلمة التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الحلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الحلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبةٍ يقول لا غائبُ مالى ولا حرمُ

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي أيا دى لم تمنن وإن هى جلت

فتى غيرُ محبوبٍ الفنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النمل زلت<sup>(١)</sup>  
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوما ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلقى من حيث يخفى مكانها \* فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيداً ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزلق الدهر فلا يجد مركباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ      تَمَاتُ لَحْيٌ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ <sup>(١)</sup>  
وَيَكْثُرُ أَنْ تَقْذَى بَشْيُهُ جُفُونُهُ      إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ <sup>(٢)</sup>  
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ      فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتَيْفِي وَدَوْلَتِي <sup>(٣)</sup>

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ تَرَكْتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا <sup>(٤)</sup>

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأرجعهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات .  
(١) هم : مبتدأ ، ومات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجدود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كالد على قوله : فكانت قذى عينه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أى يتأذى بشيء — فمضى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أى أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أى جزاه عن كل خير ، ونداء : أى جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مغرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أى واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا      غَلَقَتْ لِمُضْحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : السكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أى صرفه وأذله ، وكبته : أى صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كتبوا كما كبت الذين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خايبين » وقال الفراء : كبتوا أى غيظوا وأحزنوا يوم الحندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا<sup>(١)</sup>

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَذَنْكَ أَتَخِيلُ وَهِيَ مُسُومَاتُ وَيَبِيضُ الْمِنْدِ وَهِيَ مُجَرَّدَاتُ<sup>(٢)</sup>

وَصَفْتُكَ فِي قَوَافٍ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتُ<sup>(٣)</sup>

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمٍ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتُ<sup>(٤)</sup>

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر ببطايك قصائدى التى مدحتك بها والى غاظت أعداءك فى الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أى انتظرتك ؟ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالى عنك ، وهذا وقت وداعى إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمى فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبى فتن :

حَانَ الرَّحِيلُ قَدْ أُولِقْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَحْذَوْجَ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فذتك الحيل والسيوف فى الحرب حتى تغنى هى وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير انقوائى ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصلتك بقصائد كثيرة ، يد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدُّهُم : السود ، والشيات : جمع شية ، وهى لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود : أو هى — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا      ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا <sup>(١)</sup>  
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي      بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَى مِنْ عِبْرَاتِهَا <sup>(٢)</sup>  
يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أُنَيْنِي خَلْفَهَا      تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ حُدَاتِهَا <sup>(٣)</sup>  
وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنَهَا      شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا <sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرَتْ لَفَدَتْ      أفعاله الغرُّ في آذانها شَفَنًا <sup>(١)</sup>

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت رباه محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وعلى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصرى إذا وقع على بشرته رأى شيئا أرق والطف من دموع القلة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمي : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيت طول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنينى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفرائى أصوات الحدادة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنينى وزفرائى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفلس — وحرکه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرَتْ مِنْ إِبْلِ لَوَائِي فَوْقَهَا      لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ هَذِي لَهَا      وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَسْرَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْهَا      لَأَعِثُّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

يقول : كَانَ هذه الإبل شجر ، يَدُ أَى جَنِيَتِ الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبته ، وروى ابن جنى : بلوت للمر من ثمراتها . وبلوت : اختبرت وذقت وهذا من قول أبى نواس :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ      قَدْ بَلُوتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لا سرت : دعاء ؛ ومن إبل . تميز : وقوله لمحت : من الهو ؛ واللام : جواب لو . والمدامع فى الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسبات : جمع سمة ، وهى أثر الدكى على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكأنت حرارة دمعى تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو أنى : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الحمزة وحذفها وهو كثير مستعمل فى كلامهم

(٢) لها : بقر الوحش ، والمراد : النساء للشبهات بالمها لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملاً ما حملته هذه الإبل من الجائب ، وأن تحمل الإبل ما حملها هو من حسرات فراقهن .

(٣) الحجر : جمع خمار . وهو ما تغطى به المرأة رأسها ، والسراويلات : جمع سراويل ، فارسى معرب ، وهو ذلك اللباس الذى يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيويه : سراويل واحدة ، وهى أعجمية عربت ، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة ، فهى مصروفة فى النكرة ، وإن سميت بها رجلاً لم تصرفها ، وكذلك إن حققتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق ؛ ومن النحويين من لا يصرفها فى النكرة . ويزعم أنها جمع سروال وسروالة ، وينشد :

عليه من اللؤم سِرْوَالَةٌ      فليس يَرِقُّ لِمِسْتَعْطِفٍ<sup>(١)</sup>

(١) قيل : إن هذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافى : سروالة : لغة فى السراويل . وقوله من اللؤم : كان فى الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالاً منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .



وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأُبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا<sup>(١)</sup>

ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحش :

أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلَ رَامِحٍ<sup>(٢)</sup>

قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ؛ حتى تخطى هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على المتنبي . . . ، وإنما قال المتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد المتنبي : إن مع حي لو جهن أعف عن أبدانهم ، ومثله لنفطويه — أحد أئمة النحو وتليذ ثلث — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا      وليس لي في خَنَا مَا يَبِينُنَا وَطَرُ  
وَمَا أَرُوعَ قَوْلِ الْبَاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ      حَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ  
(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ل ترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والروة والروءة الإنسانية ، والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والحوولة — وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتُ أَحَدًا      أَحْيَى أَبَوَتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ  
وغیره يرويه .

• أَحْيَا أَبَا كُن بِالْمِلَى الْأَمَادِيحُ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد زاد ذلك تبياناً في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأثناء ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحش ؛ قال القائل : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحش : ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحش من الشعر بالسراويل — وهو من لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسي أو شبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَاتِي لَدُنِّي      فِي خَلَوَتِي لَا انْخَلُوفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا <sup>(١)</sup>  
وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا      ثَبَّتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا <sup>(٢)</sup>  
وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهَا      أَقْوَاتَ وَخَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا <sup>(٣)</sup>  
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا      أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا <sup>(٤)</sup>  
الثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا      فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لَبَّاتِهَا <sup>(٥)</sup>

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأثمة . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهره تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المرة إذ يقول : - وإن كان أعجب وتفعّل النفس الجميلَ لأنه خيرٌ وأفضلُ لا لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتيتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى بالأخطار .

(٣) المقاب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للفارة ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمنله من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أي المقاب التي أهلكها : يقال أقبلته الشيء : أي وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والفرر : جمع غرة ، وهي البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم للمدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفّت صدورهم منهم كأنها أيدى بني عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أي جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحدق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمرة الحرب والطمعن متابع في لباتها ،

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
فَكَأَنَّمَا تُنْجَتُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>

وفروسة أى — أى حدقا — تميز ، والثابتين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطنن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون فى ظهورها ثبوت الطمن ؛ والتقدير: كجلودها كالطنن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوانك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : **والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من شأنهم تناسلت عندهم ، فجود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسباق الأيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخليل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقدون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : **والذى عندي أنه يصف معرفهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراسه لها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد هم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المرة :****

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرف الغرب زجر الشاء والعكر  
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل . »

(١) **هجت** — بالبهاء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري: يقال تنجت الناقة إذا ولدت فى متوجة ؛ وأتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، وتنجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجى للإبل كإقابلة للنساء ، وعبرة الجوهرى فى الصحاح : تنجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمْ      مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلاَ سُيُودَاوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
تِلْكَ النَّفُوسُ الْغَالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى      وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
سَقَيْتَ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى      بِيَدَيَّ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

مالم يسم فاعله تنبت ، وقد تنبت أهلها : تنجا . قال الكمي :

وقال المذمرُ لِلنَّاتِحِينَ      مَتَى ذُمِّرْتَ قَبْلِي الْأَرْجُلُ<sup>(١)</sup>

والتتوج من الحيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أتجت . وبعضهم يقول : تنبت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تنبت الفرس والناقة : ولدت وأتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تنبت ولا أتجت على صيغة فعل الفاعل . . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الحيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الحيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة القلب - يقول . إن الكرام من الحيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : ينى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى للنبات على عكس العادة تفننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بمجودهم قد حي مجدهم بمجود هذا المدوح الذي هو خير أبنائهم . وروى بدل يدي : بندي - بالنون - وعبرة ابن جني : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قل ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظائمه .

(١) المذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ معنى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول الكمي : إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ بِأَتَمِّ مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءِ مِنْ عَادَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
لَوْ مَرَّ بِرَكْضٍ فِي سَطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِحَافِرِ مُنْهَرِهِ مِثْلَ مِثْلِهَا<sup>(٣)</sup>  
يَضَعُ السَّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلًا حَقِّي مِنَ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاسِهَا<sup>(٤)</sup>  
تَكْبُورًا وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحَدٍ قُرْحُ  
لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

- (١) يقول : لسا تعجب من كثرة عطاياه وواهيه ، وإنما تعجب كيف سلت أمواله من بذله وتفرقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يمك شيئا .  
(٢) العنان . سير اللجام ، وروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأتم ما عاداتها أن تحفظ الاشياء ؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .  
(٣) يصفه بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف المعجم .  
(٤) مجاولا : من الجولان ، وروى محاولا : من المحاولة . وهي الطلب والأخوات : جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الخدق في الطمن بحيث يضع رجمه في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرع : جمع القارخ من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته . والضمير في آلاتها : يعود إلى القرع : أى أن قوائمه لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المكرم ، فإذا أراد لغولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير - من آلاتها - إلى وراء ، وهى مؤنثة أى ليست قوائمه من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرع لكبت وراءك ولم تحملها قوائمه لصعوبة مسالكك . وقال الواحدي : يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرع : أى أنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمه فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقك في مدى الكرم : غثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سيالك في العلى يخفى على من تبعتك فيعثر وإن

( ٢٣ - النبي ١ )

رَعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ  
بِكَ رَاءَ نَفْسِكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا<sup>(٢)</sup>

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهيه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردتها لمناسبة قول التنبى : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التى مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل فى الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحببنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير فى قولك : لا رجل فى الدار ، أى لا أجد رجلا ، فاكتموا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قتلت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتموا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما عملوها النصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا النداء بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَتِ اللَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيلُكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 كَرَّمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا  
 وَبَيَّنَ عَتَقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ  
 لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأهاتيا بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . قلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال فى الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين فى القراءة وبآية : متعلق بملت ؛ وترتلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبى أن تلحق بآيات الترتيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا : والعق : الكرم ؛ وعقت الفرس تعق وعقت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجاها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرا :

حامى الحقيقة نَسَّالُ الْوَدِيقَةِ مَعْتَاقُ الْوَسِيقَةِ لَانِكْسٍ وَلَا وَاىِ

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصهيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايله ،

لَا نَعْدُلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ  
 أَنْتَ الرَّجَالِ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَاهَا فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ قَقْلٌ لَنَا مَا عَذَرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 أَعْجَبْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمُلِ الْأَعْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا<sup>(٤)</sup>

كما أن القمر لا يزال هالته . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاتها . يقول : لاناوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها : يعنى أن المرض الذي بك لا يلام على إلامه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبرى : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتنبى بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاتها فجاءت قبلها شوقاً فأضفت حالات الرجال - أى علاتها المذكورة - قبل أن تضيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالتاء - يعنى إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إضافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أى أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذى هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما فى ذلك ؟ « هذا » ويقال حمى وحة . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الضباب بنوه و بعض البنين حمة وسعال

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأذاة : مصدر



وَبَذَلَتْ مَا عَشِقْتَهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلَتْ لِهَذِهِ صِحَّتَهَا<sup>(١)</sup>  
 حَقُّ الْكُؤَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ  
 وَتَقُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَالْجَنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ قَلَوَاتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً  
 كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَانِهَا<sup>(٤)</sup>  
 فِي النَّاسِ أُمِثْلَةً تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بذلت لهذه الحى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الأساد لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأساد . يقول : إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر - بالراء - ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حيثما وقفت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن انطائر : دخل فى الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالنائب والحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البشرى الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم اللبالة به .

هَبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا  
 حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ  
 مَلَكُ الْبَرِيَّةِ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 مُسْتَرْخَصٌ نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ  
 نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكاً له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بروا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يروؤم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية ثمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصةً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصةً أيضاً : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

## قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب  
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ      وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيجُ<sup>(١)</sup>  
تَبَيَّتْ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ      وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ<sup>(٢)</sup>

(١) الأريج : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج  
وتنج أجيجاً. وكذلك اتبعت : على افعلت ، وتأجبت ؛ وقد أجبها تأجباً ، وأجج  
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشِفًا      أَغَرَ كِمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ<sup>(١)</sup>

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء ،  
ونار حرب يضطرم لهيها على الأعداء ، وعبرة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين  
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أى النساء الريات لأطفالهن —  
وتروى : الحواضر — أى نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب  
تأمن بها النساء من السي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر  
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للجميع ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز  
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويجمعون في مجلس — وللعادين  
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن  
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي  
راتق متكشف ، فجعل الراق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ<sup>(١)</sup>  
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعْبَيَاتٌ وَأَنْتَ بَغِيرِ سَيِّئِكَ لَا تَعِيجُ<sup>(٢)</sup>  
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفَرُ مِنْ يَمِينِهِ  
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمْجُو<sup>(٣)</sup>

(١) المهيج : الذى هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له  
الفرصة فقال : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك فى حيثما كانت .  
(٢) لا تعيج : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة فى بلاد الروم . فلما  
صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف  
يدير رحماً ، فحرفه وجاء إليه وسأله وأنتدده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من  
خولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبثه ، وأنه شجاع  
لا يعبأ إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعبئة ، وقد يترك الهمز فيقال  
عبئهم تعبئة : أى رتبهم فى مواضعهم وهياتهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تعيج بمعنى لا تبالى .  
قال صاحب اللسان : المهيج شبه الاكثرات ، وأنتد : وأنتد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئاً أُعِيجُ بِهِ إِلَّا التَّمَامَ وَالْأَمَاقَ النَّسَارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيجا و عيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج  
بالدواء عيجا : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ : أى ما أحبأ به ؛ وبنو أسد  
يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألفت إليه ؛ أخذوه من عبت الناقة . ويقال : ما عجت بنجر  
فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى  
ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه  
البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَإِذَا تَبْنَا أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّهَامِصَ<sup>(١)</sup>  
وَلَيْلَةَ سَاجِيَةٍ : إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةُ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ وَالسَّحَابِ غَيْرَ مَظْلَمَةٍ .

(١) الدهاميص والدعاميص : جمع دعويس : دوية صغيرة تفوس فى الماء ، وكثيراً  
ما تكون فى المستنقعات .

بأَرْضِ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا  
 إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ<sup>(١)</sup>  
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا  
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْمَلُوجُ<sup>(٢)</sup>  
 بِالْفَعْمَرَاتِ تُوْعِدُنَا النَّصَارَى  
 وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ<sup>(٣)</sup>  
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلَتْهُ صَدُوقُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا لَاقَى وَغَارَتْهُ الْجَبُوجُ<sup>(٥)</sup>  
 نَمُوذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا  
 وَيَكْثُرُ بِالِدَّعَاءِ لَهُ الضَّحِيجُ<sup>(٥)</sup>

قال الحارثي :

يا حبذا القمراء والليلُ الساجُ وطُرُقٌ مثلُ مُلاءِ النساجِ  
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة  
 عند الحلب ؛ وسجى اليت غطاء ، والتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطى  
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؟ وضرب  
 هذا مثلاً له إمارآه يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .  
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛  
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :  
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها  
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والعلج : الجافي  
 الغليظ من كفار الصميم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض  
 فتفديه أصحاب العلوج إذ تنهيم وتستأصلهم .  
 (٣) الفعمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تقاربها ؟  
 كما لا تقارب النجوم منازلها .  
 (٤) لج في الأمر لججاً ولججاً : تهادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :  
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجن وما خام عن الفاء  
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويصف بهم .  
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد المدان :

رَضِينَا وَالْأَمْسَقُ غَيْرُ رَاضٍ  
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رُزْنَا تَمَنِّدُو  
وَإِنْ يُخْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ<sup>(٢)</sup>

ولكننى أغدو على مُفَاضَةٍ دِلَاصٍ كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ<sup>(١)</sup>  
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذه بالله  
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو  
أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه  
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيج :  
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشبكة ،  
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضىنا بما حكمت به السيوف  
والرماح فى الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر  
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق  
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضىنا .

(٢) تمنيدو : قلعة بالروم يقال هى المعروفة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج  
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادهم ، وإن هرب وخام عن  
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

## قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أَذْنَى أَبْنِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَاحُ  
وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ تَقَبَّلُ التَّذَرَّاتِ تَكَرُّمًا  
فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحُ<sup>(٣)</sup>

(١) القَرَاحُ : الطبايح - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القريحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القريحة : خالص الغريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقريحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - البدان والرجلان والعينان والاذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاؤها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تَكَرَّمَا : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الحفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَأِنْ مُحَالًا - إِذْ بَكَ الْعَيْشُ - أَنْ أَرَى  
وَجِسْمُكَ مُنْقَلَبٌ وَجِسْمِي صَالِحٌ (١)  
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ  
تَقَصَّرَ عَنِ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَذَامُحِ  
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلامًا :

أَنَا عَيْنُ الْمَسُودِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كَلَابُكُمْ بِالنَّبَاحِ (٢)  
أَيَكُونُ الْمِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ (٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن الحال أن تقتل ولا أشاركك في علتك . وهذا من قول أبي تمام :

وإن يَجِدَ عِلَّةً نَعُمَ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ فِي مَرَضِهِ  
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على  
البتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون الابتداء نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .  
(٢) المسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛  
وجمع الجحجاح بججاجع ، قال الشاعر :

ماذا يَبْدُرُ فَالْمَقْنَعَلُ مِنْ مَرَاذِبَةِ جَجَاجِيعِ  
وإن شئت ججاجيع ، وإن شئت ججاجعة ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد  
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجيع ، لا الججاجع ،  
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا يبدُرُ الخ - ضرورة قوله ابن بري . يقول : أنا نفس  
الججاجع - السيد الكريم - أثارتنى وأغضبتني سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً  
سمى كلامهم نباحا . وروى - بدل هيجتني - هجتني : أي تسبتي إلى المهينة . يدل  
على ذلك البيت التالي .

(٣) الميجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان  
وهي الكريمة الحسب التي لم تترق فيها الإمامة تعريفاً . وقول على كرم الله وجهه :  
هذا جنائى وهيجانه فيه إذ كل جان يَدُّهُ إِلَى فِيهِ  
معناه : خياره وخالفه ، وأنشد أبو الهيثم :



جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرِّمَاحِ<sup>(١)</sup>

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشْلِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ<sup>(٢)</sup>

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرِيشٍ كُنتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَيجَانُ  
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن  
كلثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَذْمَاءُ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا  
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد  
بعد ، بيضاء اللون ، قفوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .  
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،  
وربما قالوا : هجائن . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِجَاجِ أَوَارِعِينَا  
والصراح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم  
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول  
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكر في هذا البيت أن سفهم لا يقدر في نسبه ولا يغيره .  
(١) يقول : إن أولئك المائبين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا  
عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة  
الواحدى : يحتمل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلووا بذلك على كرم نسبى .  
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر « فليك » مقدم . والتبريح : الجهد والشدّة ،  
والرشا : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الظباء . والشيح  
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بي وإلا فلا ثم قال :  
أتظنون غداء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه  
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعَى السِّفْزِلَانُ فِي الْبَيْدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيما لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن التشبه أى كأنه ظي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس :

فمينالك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذى يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جني : المصراعان متباينان ، فلذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولوه وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جبران العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعَتِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهَلٌ بِالْبَيْنِ مَشغُولٌ  
نَمَ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لَأُبَشِّهَ إِثَرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ<sup>(١)</sup>

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جبران العود شاعر من نمير قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الصاغاني . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَانَهُ وَلَلْكِيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ  
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ

يخاطب امرأته . وأراد بجران العود - والعود البعير المسن - سوطاً قد من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب مايكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نشترنا عليه . والجران . باطن العنق الذى يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، وباخلقي يروى يا جارتى ؛ وقوله فإنني الخ : يقول : فإنني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة المجلس الذى يلقي تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجل في الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذى أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أى لم يحلل عقله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على ولعه مما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

\* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ

ثم قال :

\* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُ \*

وقال القاضى الجرجاني : بين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبرّحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون انتاء فى التبرّح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئا » وقوله :

لَمْ يَكْ شَيْءٌ يَا إِلَهَى قَبْلَكَ

لأنها قد ضارعت بالهجر والسكون والفتحة حروف المد محذوف كما تحذفن وهى هنا فى قول التنزي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى اننون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لَمْ يَكْ الْحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسَمٌ دَارٍ قَدْ تَعَفَى بِالسَّرَرِ<sup>(١)</sup>  
وقد حذف النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .  
فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْتَقْنِي إِنْ كَانَ مَأْوُوكَ ذَا فَضْلٍ<sup>(٢)</sup>

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بَآئِهِ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَابُ وَيَيْنَ الْحُحُونِ وَيَيْنَ السَّرَرِ  
(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ بِالْوَرْدِ آجِنٌ يُحَالُ رُضَابًا أَوْ سَلَاةً مِنَ الْعُسَلِ  
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذُّبَّ يَعْوَى كَأَنَّهُ ضَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ  
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ<sup>(١)</sup>  
مَا بِالْهُ لَاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِي لِلْجُرُوحِ<sup>(٢)</sup>

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريع. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحارث بلحارث لم يقل في بني النجار بنجار . . . والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الخيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب؛ وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحمر. يقول: إن الحمر رنحته فتأيل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن: ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أقدامنا الحمر نازها وقد جرت عادتهم بأن يسهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدعوا في تجميلها واقتنوا في تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويروى بدل - وغادرت - وجردت: أي صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحمر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالنمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف النمال. (٢) يقول: إن فؤادي هو المجرع بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأنيذر بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

قللت له يا ذئب هل لك في أخ  
يؤاسي بلا منّ عليك ولا بخل  
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي  
فلمست بآتيه . . . . . (البيت)

والعسل: جمع عسل كأعمال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتْ يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يَمْدُبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ (١)  
قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَفْدُو الْجَنَانُ فَتَلْتَقَى وَيَرُوحُ (٢)  
وَفَشْتُ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفْنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٣)

أَرَاهُ يَدْمَى خَدَهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْجُرُوحُ أُولَى بَأْنِ يَدَمِي  
وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . بريد احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا  
انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة  
يصف نساء :

• ضَرَجْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ •

أى شققن . وتضرج اثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللذ . أى  
تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى اتست ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعد ما بينهم ،  
وتضرجت عن البقل لفاتحه : إذا انتفتحت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،  
وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم للروفة تقتل  
فترج ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .  
يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاسيلى إلى الزيارة خشية الرقاء ،  
وإنما تلاقى بالقلوب ، فيخدو قلبى إليك وروح أى أذكرك فامثلك فى قلبى ؛ فكأننا قد  
التقينا . كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالَّذِ كَرِ إِنِّ لَمْ تَلْتَقِ  
ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أغله . يقول : إن كتابان الموى  
اقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ما تجنه الضلوع من  
الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحٌ<sup>(١)</sup>  
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا  
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحٌ<sup>(٢)</sup>  
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرَفٌ شَاخِصٌ  
وَحَشَى يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ مَسْفُوحٌ<sup>(٣)</sup>  
يَمِيدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لَأَنْبَرَى  
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوُحُ<sup>(٤)</sup>

(١) الحمول : الأحمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزناً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقد كان يذْهِي لَابِسُ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يَدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ  
ويقول العتيبي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :  
والصبر يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أى المحاسن : فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يدتشر بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدى : أى ولو كان وجده كوجدى لأنبرى الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله : لأنبرى ، يريد لا ندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى برىا وأنبرى : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأُمَقُّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ

فِي عَرْضِهِ لَأَنَاحَ وَهِيَ طَلِيحٌ<sup>(١)</sup>

نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبَهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حَدَاهُمُ التَّسْبِيحُ<sup>(٢)</sup>

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرَدَّ نَصِيحُ<sup>(٣)</sup>

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل .  
والوخد . ضرب من السير ؛ وخدت هنا . أسرع . والطليح : المعى ، يقال طلع البعير  
أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها  
السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلائح ، والطلع - بالكسر - المعى من الإبل ، يستوى  
فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاح . قال الخطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِاحٌ أَشَمَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هَدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا

« يقول الخطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام  
راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك  
المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب وزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه  
فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل  
من الطول .

(٢) القلوص - جمع قلووس - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا  
المهمة على الإبل ، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا آبى إلا أن  
أستبقها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله  
ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للإبل مكان القناء الذى تهدى به . وقل ابن  
جنى : نازعته أخذت منه - من الأمق . أى المهمة - بقطعي إياه وأعطيته ما نال من  
الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى القلوص ،  
فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يجب  
إفناءها بالمتنازعة فيها كقول الأعشى :

\* نَازَعْتَهُمْ قَضْبُ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا \*

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا ردنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية  
للعلمة المكبري ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا  
أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول  
لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على  
لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . تقديره إن كنت  
منطلقا انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع<sup>(١)</sup>

أي إن كنت ذا نفر ، حذف الفعل وزاد «ما» عوضا عنه ، والذي يدل على أنها عوض  
عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين الموض والموض ، وكقولهم  
أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، حذف الفعل لكثرة  
الاستعمال وزيدت ما على أن عوضا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إبطالها لأنها  
صارت عوضا عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا في النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل  
بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون  
الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمي الصحابي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندية ،  
وندية أمه - وهو صحابي جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء .  
وبعد البيت :

والسلم تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْعُ  
وتفر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع  
السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجذبوا ضمفوا عن الاتصار وسقطت قوام فئات  
فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لم  
فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ،  
أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنفاسها : أوائلها يحرصه على الصلح  
ويثبطه عن الحرب .



وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمَظْفَرِ أَهْمَا فَأَتَاخَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتَبِيعٌ<sup>(١)</sup>  
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ<sup>(٢)</sup>

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكسر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ حَمَدْتَهُمْ لَوْلَا حُدِّدْتُ وَلَا عَذَرِي بِمَحْدُودٍ<sup>(١)</sup>  
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حددت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى توانت وفترت ؛ وأما قصدها : أى مقصودها وقوله فَأَتَاخَ لِي الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا توانت الإبل في سيرها وهذا المدح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .  
(٢) شِمْنَا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا سحاباً حرى أن يجود : أى

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت في أبيات هذانصها :  
قَالَتْ أَمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتُ بِيَعِضِ الْأَسْهَمِ السُّودِ  
لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِّدْتُ وَلَا عَذَرِي لِمَحْدُودِ  
إِذْ هُمْ كَرَجَلِ الدَّبِي لَا دَرَّ دَرَهُمْ يَفْزُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشْيِ تَحْدُودِ  
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجِيدِ  
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى المذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدي : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوْهُ مَنَفَعَةٍ مَّخُوفُ أَذِيَّةٍ مَّغْبُوقُ كَايَسٍ مَّحَامِدٍ مَصْبُوحٌ<sup>(١)</sup>  
 حَنِقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسَى صَفُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفَرَّقُ مَالَهُ  
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَلَفَتْ مَسَامِعُهُ اللَّامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ الثَّامِ تَلُوحٌ<sup>(٤)</sup>

جديرا به أن يجود — أى يمحط — ومرتته الريح : استدرته وأصله فى الناقة يمسح  
 ضربها لتدر . يقول : شمتا بروق الممدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،  
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضل على السحاب  
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما الممدوح  
 فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذى يسقى بالعنى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صباحا . يقول : إنه محمد  
 فى كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .  
 (٢) البدر : جمع بدرة ، وهى عنبر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .  
 (٣) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .  
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أقول إذ سألوني عن سماحته ولستُ بمن يُطيلُ القولَ إن مدحا  
 لو أن مافيه من جودٍ تقسمهُ أولادُ آدمَ عادوا كلهم سُمَحًا  
 والأصل فى هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر — :  
 لو قسمَ اللهُ جُزءاً من محاسنه فى الناس طرأَ لهم الحُسنُ فى الناس  
 ويقول أبو تمام :

لو اقتُسمَت أخلاقُه الفرُّ لم تجد مَمِيحاً ولا خَلَقاً من الناس عابثا  
 (٤) يقول : إن مسامحه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به  
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أى أن مسامحه — لكثرة  
 ما سمعت اللوم — ألفتة واعتادته فصار شيئاً مألوفاً لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا  
 النلاثم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لثاماً يرى عليهم أثر اللوم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرَهُ  
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ<sup>(١)</sup>  
أَلْبَابًا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابًا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
يَفْشَى الطَّمَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ  
مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكَمَاءِ صَحِيحٌ<sup>(٣)</sup>

(١) المراد بخلت ههنا : تخلو ؛ وأتى بالماضي : للتحقيق — على حد قوله تعالى « أتى أمر الله » — يقول : هذا الذي تمضي القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار . قال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا في الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العكبرى : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه ، وهذا مذهب سيويه ، وأنشد :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ<sup>(١)</sup>  
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقدماً وخيراً ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :  
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيعُ الْبَهَقِ<sup>(٢)</sup>  
أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .  
(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

(١) لقيس ابن الحطيم [ راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧ ] .

(٢) من أرجوزته التي مطلعها :

وقاتم الأعماق خاوى المحترق \*

[ راجع أرجوز العرب للبكرى ، « خزانة الأدب » للبغدادى ج ١ ص ٩٠ ] .

وَقَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ      وَقَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْمَجَاجِ مُسُوحُ<sup>(١)</sup>  
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ      رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْبَطُوحُ<sup>(٢)</sup>  
قَتِيلُ حُبٍّ مُجِبِّدٍ فَرِحَ بِهِ      وَمَقِيلٌ غَنِظٍ عَدُوٍّ مَقْرُوحُ<sup>(٣)</sup>  
يُخْنِي الْعِدَاةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ      نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ<sup>(٤)</sup>

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لمَ يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ      ولم تكثُر القَتلى بها حينَ سُلَّتِ  
« أى لم يعمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتل »<sup>(١)</sup> قال الواحدي : وقوله مكسورة  
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب  
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والسكاة : جمع كى : الشجاع التسمى  
أى التغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع الجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والسوح : جمع  
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت  
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالقبار فكان عليها مسوحا .  
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،  
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويغلف وراءه فارسا مبطلوحا - أى قتيلا أيضا -  
ويعجز أن يكون المراد رب الجواد : للمدح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن  
مقلا » وقال ابن روضة :

اليومَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ      ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ  
« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع  
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الغيظ : القلب . يقول : إن قلب محبة فرح به مبتهج ،  
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يغنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يغنى العدو خوفًا منه . يد أن

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم  
يعمدوا ولم تكثُر القتل ، أى لم يعمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتل حين سلت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابِنِهِ شَرَفًا وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحٍ<sup>(١)</sup>  
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى  
هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحٍ<sup>(٢)</sup>

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ  
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص انشقى :  
تَكَاشِرُنِي كَرَاهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر :

خَلِيلٌ لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ  
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحداً مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرفاً : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقاً ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :  
ضَرَحْنِ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ  
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرفاً ، ولا في الأموات مثل جد أهلك في الشرف .  
(٢) السبع : العرق ؛ سمي مسيحاً لأنه يمسح إذا صب . قال الرازي :

يَا رِيَّهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَى ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ  
« ياريها : يروى ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطاً - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت السماء وامتزجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [ أمالي القالي ج ١ ص ٦٨ . والحزانة ج ٣ ص ١١٨ سلفية ] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضغن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ  
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللَّوْحُ <sup>(١)</sup>  
وَحَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا  
مَا كَانَ أَنْذَرُ قَوْمَ نُوحٍ <sup>(٢)</sup>  
عَجْزُ بَحْرٍ فَاقَهُ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ <sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الْفَرِيسَ شَجَرٌ بَعْطَفِي عَائِدٌ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ <sup>(٤)</sup>

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوح : الهواء بين السماء والأرض .  
والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لحشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه . فقوله  
وحشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي  
لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك  
ملتسماً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :  
خَابَ أَمْرُؤُا بِحَسَنِ الْخَوَادِثِ رِزْقُهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَفْدُ الْأَسْمَدِ  
وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجْزُ بَذَى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ  
وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراءه : للحر ؛  
قال العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛  
ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى  
هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه  
المعنى ، تقديره : القعود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :  
به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -  
من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَدَكِي رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا      تَبْنِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ<sup>(١)</sup>  
جُهْدُ الْمَقِلِّ فَكَيْفَ بَابُنِ كَرِيمَةٍ      تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحُ<sup>(٢)</sup>

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :  
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد  
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت  
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستجير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه  
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،  
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر .  
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْءِ      مَيِّئٌ مِمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ<sup>(١)</sup>  
فَقَدْ ثَنَيْتَنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً      طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ  
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَيْدِ      شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ  
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكُنْتَ كَرَوْضَةٍ سُقِيتَ سَحَابًا      فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى  
قلت ذات يده : وتوليده : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،  
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شكرك  
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،  
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من  
قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهدك - بالضم - والجهد  
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدا : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،  
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الومى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتى  
بعد الومى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَّةٌ مَا لِحَسَمِهَا رُوحٌ      بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ<sup>(١)</sup>  
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا      لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ<sup>(٢)</sup>  
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا      وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْخِلَادٍ مَسْفُوحٍ<sup>(٣)</sup>

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا      وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ<sup>(٤)</sup>

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية - كما قال العكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدي : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماء وتفريقه جلساء يعمل على الخلو به ، فانصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال العكبري - في قوله منصرفي - يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها - مما هو على أربعة أو أكثر - استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر



لَأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرَفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ<sup>(١)</sup>

وَجَرَى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فقال بعض الجلساء ذلك وجزع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالا :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلِّ سَلَمَةٍ سُبُوحِ<sup>(٢)</sup>

والزمان والمكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب ومجيب من مجتذب جبلك أى اجتدأى وهذا مجتذب جبلك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تعليل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأننى كلما فارقت عيى ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جفنى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ<sup>(١)</sup>

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جفنى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيى الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنف .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجروح ، وهى العزيمة المستعنة . والسلبية : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا محبي كل مكرومة تستصحب على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل الشديد القتال الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غُمُوسٍ وَعَامِيَ كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ<sup>(١)</sup>  
 سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ<sup>(٢)</sup>  
 وأرسل أبو العشائر بازياً على حَجَلَةٍ فأخذها فقال المتنبي :  
 وَطَائِرَةٌ تَتَّبِعُهُمُ اللَّيْلُ عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ الْجَفَاحِ<sup>(٣)</sup>  
 كَانَ الرَّيْشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحٍ<sup>(٤)</sup>

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التي تنفس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطمعن كل طعنة واسعة تنفس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصى كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنني الله من الأعداء حتى أهرق دماهم وآتي عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماهم على الأرض كلاماً . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقام ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لجمه . والرجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني خفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لا ابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جمل المنيا البازي لأنه سبب منيا الطير ، وتتبعها هي تتبعها . ورواها العكبري تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبع القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فضيت معهم وكذلك اتبعهم وهو اقتلعت وأتبع القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعته غيرى يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى مثل ، ردفه وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَاطٍ      مُسِخَنَ بَرِيشٍ جُوجُوةِ الصِّحَاحِ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْمَصَهَا بِحَجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ<sup>(٢)</sup>      لَهَا فِئْلُ الْأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ<sup>(٣)</sup>  
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ      وَإِنْ حَرَصَ النَّفْسُ عَلَى الْفَلَاحِ<sup>(٣)</sup>

(١) الجوجؤ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أقلام جبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جني : غلاظا — نصباً على التعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الجبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على التعت للجوجؤ أو للریش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقمصها : قتلها قتلا وحيأ سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد مخالبه — والصفر : أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفايح : السيوف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجة قتلا سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قمصا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقصه : طعنه طعنا وحيأ . والقصاص داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشرط الساعة موتان يكون في الناس كقص الغنم . والحجن — بالتحريك — الاعوجاج ، وصقر أحجن المخالب : معوجها ، والحجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حي : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحي على الفلاح أى أقبل على النجاة .

## قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثي ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،  
وقد توفي في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتْ عِلَّةً بِمَوْرُودٍ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدَ<sup>(١)</sup>  
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ<sup>(٢)</sup>  
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ<sup>(٣)</sup>  
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَصَرَبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ<sup>(٤)</sup>

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المضموم في لغة أهل  
البحر وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

\* كَأَنِّي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ \*

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة  
وقل أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .  
يقول : ما لزم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع  
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْكُرْنِ  
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو  
يختصر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت  
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في  
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ غَمْرٌ كُلُّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُوَادُ رَغْدِيدٍ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مُسِيرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا عَجَبٌ  
 ذَا الْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَفْهُودٍ<sup>(٣)</sup>

مطمعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجمله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أى من دواهي ونوائبه العظام العوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التبخر فيه .

(١) الضر : الكثير ، والراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وجد حوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على قتله فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فغير مردود . أى لم يرد علينا البكاء : أى لا يناب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا عجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يهد في البحر إذ المهدود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ، ولكن لم يهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . والمعنى : قد تقع المصائب ، ولكن لم تعهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أغنى باهلة :

فإن جَزَعْنَا فمثل الشر أَجْزَعْنَا      وإن صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعِشَرُ صَبْرٍ  
 أخذه أبو تمام قال :

فلئن صَبَرْتُ فَأَنْتَ كَوَكْبٌ مَقْشَرٍ      صَبَرُوا وَإِنْ تَجَزَّعَ فَغَيْرُ مَفْتَدٍ  
 وأخذه الحريري قال :

ولو شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ      عليه ولكن ساحة الصبر أَوْسَعُ  
 (٢٥٠ — التي ١)

أَيْنَ الْمَبَاتِ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَفَاتِ وَالْوَاحِدِ<sup>(١)</sup>  
 سَالِمُ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ  
 أَحْمَدُ حَالِهِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ نَيْوَبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي  
 أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهُمَا عُودِي<sup>(٤)</sup>  
 وَفِي مَا قَارَعَ الْخَطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ<sup>(٥)</sup>

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالواحد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهى أكمت منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بموته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات .  
 (٢) يقول : إن الذى يسلم من القوم التحابين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .  
 (٣) قال ابن جنى : أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : خلفاء الموت والحياة ، أى وإذا كانت الحياة وهى أحمد حالى الزمان غير محموده لأنها تقطع بالحزن على الراجلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدى : أى لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن محبته بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءُ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسُهُ فِيهِ أَمَانِيهَا  
 أَبْقَى الْبَقَاءُ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَا فِيهَا

(٤) عجم العود : عضة ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجمت عوده : بلوت أمره وخبرت حاله . قال :

أَبَى عُودُكَ الْمَجُومُ إِلَّا صِلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسَالُ

يقول : قد طالعت صبحى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .  
 (٥) يقول : فى من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهينى ، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ <sup>(١)</sup>  
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلاَكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ <sup>(٢)</sup>  
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقَعُ قَنَا الْخَطُ فِي اللَّغَادِيدِ <sup>(٣)</sup>  
وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ  
رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْسِيهِ <sup>(٤)</sup>

طول الفلق للمحن ما نقي عن الجزع وصبرني آنس بالمصاب . وعلى هذا يكون : وما آنسى  
عطفا على ما قارع ويجوز — كما قال العكبري — أن تكون ما — في وما آنسى —  
تعبيراً . وعبرة الواحدى : في ما يقارع الخطوب ويؤنس بالمصاب العظام ، وهو علمه  
بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم  
قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » والذي آنسه بالمصاب رأيه  
الذى يريه المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة  
إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استفانك وهو في أسر بنى كلاب أغتته واستنقذه من أيديهم ولم  
تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير في عنقه  
فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل في الملك والرجل العظيم صاحب  
النخوة ، وأصيد أفل وصف لا أفل تفضيل والصيد جمعه قال العكبري : وأصيد  
الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح  
أعور العور أى أشدهم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفل ولأما أفعله .

(٣) اللغاديد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياء ، قال تعالى « ثم  
إذا شاء أنشره ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح وجعل  
أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى  
إياه ، فأنشترته من ذلك الموت بطعن الرماح في لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلاً بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ،  
فكأنك رميت عيونهم بالسر ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله :  
ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَلِّبْنَهُمْ رِيعَالَهَا شُرَبًا      يَبْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَاكِدٍ<sup>(١)</sup>  
 تَحْمِلُ أَعْمَادَهَا الْفِدَاءَ لَكُمْ      فَابْتَقِدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَاكِدِ<sup>(٢)</sup>  
 مَوْقِفُهُ فِي فِرَاشِ هَامِهِم      وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السَّيِّدِ<sup>(٣)</sup>  
 أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ      فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ      مَنجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنجُودِ<sup>(٥)</sup>

- (١) الهاء — في ريعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والريعال : جمع رعلة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهى الجماعة ، والعبايد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زراطلت ووجدانا .
- (٢) انتقد الدرام : قبضها ، والأخايد : جمع أخدود ، وهو الشق فى الأرض ، كفى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف فى الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدرام والدنانير التى تدفع عادة فى الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيه تأثير الأخدود فى الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخايد .
- (٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدب . يقول : إن هذا الضرب يقع فى عظام رؤوسهم فتستنشق الدئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم .
- (٤) يقول : إن الحياة التى وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها فى بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التى أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جملة سيداً .
- (٥) النجود : المكروب ؛ ويقال استنجدتى فأنجذته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجد الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه : قد استنجد عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة فى الحرب فبقي فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون للمكروب .



مَّ غَدَا قَيْدُهُ الْحَمَامُ وَمَا      تَخْلَصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ<sup>(١)</sup>  
 لَا يَنْقُصُ أَلْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ      مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقُ الْبَيْدِ<sup>(٢)</sup>  
 تَهَبُ فِي ظَهْرِهَا كِتَابَتُهُ      هُبُوبَ أُرْوَاحِهَا الْمَرَاوِدِ<sup>(٣)</sup>  
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبَتْ      سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ      فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ<sup>(٥)</sup>

(١) الحمام : الموت ، والمصفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك لأن الفلوات تضيق باتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف الدولة .

(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد : الرياح تجمىء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَا دَارَ مَيَّةٍ لَمْ يَتْرَكْ بِهَا عَدَا      تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهُجُجُ الْمَرَاوِدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تهمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ      وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاء معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا أقدها فالنقى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز اللبنى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ<sup>(١)</sup>

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ  
وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ<sup>(٢)</sup>  
يَرُدُّ يَدًا عَنْ نَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ  
وَيَنْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : أمنيته أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال ق النوم . يقول : إننى أعف عنها مع كوني قادراً على ترك المغاف ، وقد صار ذلك سبباً لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى فى نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّا لِيَ الْأَخْلَى لِلْنِّتَاءِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتِ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ  
قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود فى الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف فى حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد فى المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لآعن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال فى قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى  
 مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ  
 فَلِمَ تَتَصَبَّأكَ الْحَسَانُ الْخَرَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَلَحَّ عَلَى السُّنْمِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ<sup>(٣)</sup>

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا المغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مريد ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة ما ثبت في طبعي وغريرتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، آلمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربح الهذلي .

ماذا يَغْيِرُ ابْنَتِي رُبْعٌ عَوِيلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا  
 إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا يَسْبِتُ يَلْعَجُ الْجِلْدَا  
 « يغير : ينفع ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بغفائه ؛ وعبرة ابن جني : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تصبأك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد ، الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الخلوة بهن . يقول : إذا كنت في الخلوة بهن تنأى عنهن وتنف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إليهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غريمه في التقاضى إذا واطب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألث ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَمَتِ  
 جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ لِلْمَاهِدِ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا تُنْكِرُ الدِّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ  
 سَقَتَهَا ضَرْبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَايِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَهْمُ بَشْيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ<sup>(٣)</sup>

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .  
 والعوائد : جمع عائدة ، وهي التي تعود المريض . يقول : لارمى السم فلا يفارقي حتى  
 لقد ألفتة ، وقد ملنى طبيبي وعوائدى لشدة ما بى من السم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحمة : دون الصهيل ، كالتمنع .  
 وشجاء يشجوه : إذا أحزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والماهد جمع معهد ، وهو الموضع  
 الذي عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأوبة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب  
 فحمت جوادى حينما إليها لأنها عرقها . ثم استفهم متعبا فقال : وهل الديار تشجى  
 المعبوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزله  
 عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَمَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا  
 ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا فَقَالَ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامُهَا

(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهماء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر  
 يعلب من عدة لقاح . والشول : النياق التي بعد عيدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :  
 الجارية التي تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهماء رسم  
 منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفتة ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .

(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى  
 تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكانها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا  
 أطاردها عن حيولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ<sup>(١)</sup>  
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ<sup>(٢)</sup>  
تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ<sup>(٣)</sup>  
مَحْرَمَةٌ أَكْفَالُ خَنِي عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف وـرغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الفترات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) الراود: جمع مروود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - للين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسلم المروود يدور مع حلقاته كيفما أديرته، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى مَرُودِهِ لِسُدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ بَرَكَارُ<sup>(١)</sup>

وهنا قال الواحدى: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من القلوب، وقال: إنما يصح العنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود؛ وعنده أن المروود مثل السكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في الفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تثنيها.

(٤) اللبات: أعالي الصدور. ومحلة القلائد: أى مواضع القلائد من الأعناق.

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدَي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كِفَةً  
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ<sup>(٢)</sup>  
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ  
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ  
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ<sup>(٤)</sup>

يقول : إنه يغوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر وأردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : والحوال ، والمهند : السيف المهندي ، أو السيف المشحود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعرا . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتى بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكفى كثيرا ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ  
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَبَيَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ<sup>(٢)</sup>  
أَحْقُهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَايِدُ<sup>(٣)</sup>

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتغمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأثقة ، ويغمد ما تعود من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاً أيضاً ، ونضاً الخضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعها . قال تأبط شراً ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضوا الفلأ بالشاحب المتشلسل<sup>(١)</sup>  
(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تبين أن الدهر ناقد لهم يعطي كلا على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاء أيضاً ، وأطلى الرجل والبحير إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقمت على الخبير

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القُشمان من النُصور

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامال إلى هواء وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتشلسل الرجل المتخذ اقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - هذا - يريد به الصاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا      بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ<sup>(١)</sup>  
 شَنَنْتُ بِهَا الْفَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا      وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ<sup>(٢)</sup>  
 مُحَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَانَهَا      وَلَئِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ<sup>(٣)</sup>  
 تَنَكَّسْتَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ      وَتَطْفُنُ فِيهِمُ وَالرَّمَا حُ الْمَكَايِدُ<sup>(٤)</sup>

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبع من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمى الحجر : الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها . وفي الحديث : « سيشرّب ناس من أمّى الحجر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ للسكر الطبوخ ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمرآ . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات انظلف والنف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أى بكونك تضرب الطلى ولا تكثر لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمجده ولا يمجّدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الفارة : صبا عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجة : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : صليت الفارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذى فى أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة — أى مطوية بالخلق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . قفوله : محضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نصبه جعله حالا من الضمير فى تركتها . والقوم صرعى : يروى والحيل صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أى طريح ، ومساجد : خبر كان ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأنى عليهم بكيدك : يعنى أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أى أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأتها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها . وعبرة الواحدى : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات : الخيول .



وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى  
 كَمَا سَكَنَتْ بَطْنُ التُّرَابِ الْأَسَاوِدُ<sup>(١)</sup>  
 وَتَضْحِي الْحُصُونُ الشَّمَخَرَاتُ فِي الذَّرَى  
 وَخَيْلُكَ فِي أَغْنَاقِهِنَّ قَلَانِدُ<sup>(٢)</sup>  
 عَصَفَنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسُقْمَهُمْ  
 بِهِزْبِطٍ حَتَّى أَيْبَسَ بِالسَّيِّ آمِدُ<sup>(٣)</sup>  
 وَالْحَقْنُ بِالصَّفَصِافِ سَابُورَ فَانْهَوَى  
 وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أكدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلاً وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتمعن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتمنوا تحت الصخور وفى القصور والكهوف كما تسكن الحيات فى التراب .

(٢) الشمخرات : المرتفعات . والذرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشائعة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتحريف -

(٣) اللقان : وهزيبط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكاً يوم أغرت عليهم بهذا المكان وساقهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والفلان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفاصا وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخریب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجارتها ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكاً وقوله : وانهى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما الثلاثى منه متعد ، وهذا غير متعد ؛ وفى النصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيِّعٍ      مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدُ<sup>(١)</sup>  
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ      تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سِيُوفُهُ      رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدُ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا      لَمْ يَشْفَتْنِهَا وَالشُّدَى النَّوَاهِدُ<sup>(٤)</sup>  
 تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى      وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ<sup>(٥)</sup>

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهن : أى بالحيل ، والمشيع : الجرىء  
 القدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب  
 فى أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق النقر . ومبارك الوجه  
 عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يمتنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن  
 الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا  
 كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فَوَادِهِ هِمَمٌ      مِلْءُ فَوَادِ الزَّمانِ إِحْدَاهَا  
 فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمَنَةٍ      أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال  
 وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان .  
 نهير بلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه  
 رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة فى الشفة تستملح . ونهد  
 الشدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وآتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد  
 حماها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ      حَتَّى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهْدُ

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم سيكون عليهن

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا      مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ      عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْنَتُهُ بِكَ فَأَخِرٌ      وَأَنَّ فَوَادًا رُغْتُهُ لَكَ حَامِدٌ<sup>(٣)</sup>  
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى      وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ<sup>(٤)</sup>  
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتُهُ      لَهْنَتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ<sup>(٥)</sup>

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ حَيًّا      حَتَّى تَلَاَقِيَهُ لآخرَ قَاتِلَا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبئ صاغه أبداع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : المحبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد : العطي ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي نسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن القلب الذي تخفيه يحمذك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي      فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، يد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت محبوب عليهما ، ومن ثم تقودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مديح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في الصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكانت الدنيا مهنة يبقائك فيها خالدًا ، وهذا هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يبقائه فيها ، ولو قال : ما لو عشته لبقيت خالدًا : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْتَ أَبُو الْمَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا أَبْنَةَ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدُ<sup>(٢)</sup>  
وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانَ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ<sup>(٣)</sup>

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال . الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فلذلك قال لهنت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جني : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الميجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والميجاء : الحرب تمد وتقصر — يقول : يا ابن أبي الميجاء أنت أبو الميجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله \* تشابه مولود كريم ووالد \*

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب صاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسماء في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَتَّكِلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

واحتذى هذا الفاضل حذوم فقال : وأنت أبو الميجاء — البيتين — وهذا من الحكمة التي ذخر أرسطو وأفلاطون لهذا الحلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه — إلى آخر الآباء — فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آبؤه ؟ وبعد : فللملامة المكبري هنا كلمة لمناسبة ترك للتبني صرف حمدون ثبتها هنا — حسبنا شرطنا على أنفسنا في هذا الشرح — قال المكبري الكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحبشنا : إجماعنا على جواز صرف مالا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طَلَبَ الْأَزَارِقَ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ بِشَبِيبٍ غَائِلَةُ النَّفْسِ غَدُورٌ<sup>(١)</sup>

فترك صرف عيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

تَصَرُّوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُسَيْنَ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ<sup>(٢)</sup>

فلم يصرف حينئذ ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ عُدْتُ عَلَى بَزْوَبرٍ<sup>(٣)</sup>

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

وَالِ ابْنِ أُمِّ أَنَاسٍ أَرْحَلُ نَاقِي عَمْرٍو فَتُبْلِغُ حَاجَتِي أَوْ تُزْحِفُ<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أى تخاذلهم وانكالمهم على غيرهم .

(٣) يروى هذا البيت لابن أحر ، هكذا :

\* وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعْدَةٍ قَصِيدَةً \*

ويقال أخذ الشيء بزوبره : أى يجمعه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم أقلها ، وقيل بزوبرا : أى كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

مَلِكٍ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِبَابِهِ عَرَفُوا مَوَارِدَ مَزْبَدٍ لَا يُنْزَفُ ،

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيوبه ، وشارح شواهد الإمام الشنتمرى

الأندلسى . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبى خازم ، وأخطأ النساخ فورد في

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيوبه أناس — بالتثنية — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وتزحف — يقال

= وعمرو هو ابن جبر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤمل أن أعيشَ وأن يومي بأول أو بأهـون أو جبار

أو الثاني دُبارَ فإن يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُمَيْمَةُ ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل<sup>(١)</sup>

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في جمع<sup>(٢)</sup>

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلة ما بال دؤسر بعدنا صحاً قلبه عن آل ليلى وعن هند

فترك صرف دؤسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعيا فجر فرسنه — ما قابل الحافر — يمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والموارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجهه كالبحر للزبد لسكرة جوده ، ومعنى يرف : يستغد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجلاً من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الزراري والأقرع بن حابس : [ راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزائن ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية ]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلُّهَا وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
أَحْيَاكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لَا مَنِي فِيكَ الشَّهَى وَالْفَرَاقُ<sup>(٢)</sup>  
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ<sup>(٣)</sup>

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَعَلَ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ<sup>(١)</sup>  
فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتثنية ما كن ،  
ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ،  
واقفنا أبو على وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة  
البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل  
إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسمان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين  
ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك  
فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهى : نجم خفي من بنات نكش الصغرى ؛ ومنه اللث — أريها السهى  
وتربى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى  
منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس  
والبدر ، وغيره من الملوك كالتنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهواى وإن لا مَنِي  
في ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جني : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس  
والقمر إلى السهى والفرقين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمرى شارح شواهد سيديوه - : يصف الشاعر بغيراً ضل عن  
صاحبه فيئس منه وجعل يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به - إنما وصف  
ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب .  
ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته  
صدره أو زوره - وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضب ؛ وهذه كلها آفات  
وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته - ومعنى يشري : يبيع . وهو من الأضداد .

فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ<sup>(١)</sup>

---

وقد بهزت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكرم لا يعرف القمر<sup>(١)</sup>  
وعيش بارد : رغد هنى يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك  
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور  
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جني : محب لك لفضلك لا للخير الذى  
أصيبه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبرى : يريد : أنا أجلك بعقل فينتفع بى ؛ وغيرى  
يحبك بجهل فلا ينتفع به . ثم قال : ولو قال المتنبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن  
فى صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

---

(١) تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :  
مَا زِلْتُ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مَرْتَقِيًا تَنْبِي وَتَسْمُوكُ الْفُرْعَانَ مِنْ مُضَرًّا  
[ وروى : حتى بهرت ] .

---

اتمنى الجزء الأول ، ويليه - بفون الله وتوفيقه - الجزء الثانى وأوله :  
وقال يمدح سيف الدولة بعميد الأضخى إلخ  
لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا



## فهرست الجزء الأول

صفحة

- ١٥٦ ماذا يقول الذي يغنى ... ذى السماء  
١٥٦ إنما التهنئات للأكفاء  
١٦٠ ألاكل ماشية الخيزلى  
١٦٨ لقد نسبوا الحيام إلى علاء  
١٦٩ أسامرى ضحكة كل راء

### قافية الباء

- ١٧١ لمينى كل يوم منك حظ ... عجب  
١٧١ تحف الأرض من هذا الرباب  
١٧٢ فدينك أهدى الناس سها إلى قلبى  
١٧٤ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب  
١٨٢ فدينك من ربع وإن زدتنا كربا  
١٩٩ ألا ما ل سيف الدولة اليوم عاتبا  
٢٠٠ أحسن ما يحضب الحديد به. والغضب  
٢٠١ أيدرى ما أراك من يرب  
٢٠٤ بفيرك راعيا عبث الدثاب  
٢١٥ يا أخت خير أخ يا بنت خير أب  
٢٢٥ فهتم الكتاب أبر الكتب  
٢٣٣ أبا سعيد جنب العتابا  
٢٣٤ لأحبق أن يعلوا ... الأكوبا  
٢٣٤ لأى صروف الدهر فيه نعاب  
٢٣٧ دمع جرى ففضى فى الربع ما وجبا  
٢٥٠ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ٣ مقدمة الطبعة الأولى  
١٧ » » الثانية  
٢٠ سيرة المتنبي  
٦٨ ترجمة المتنبي بقلم أحد معاصريه  
٨١ شراح المتنبي — ابن جنى  
٩٠ الواحدى  
٩٥ ابن فورجه  
٩٦ ابن القطار الصقلى  
٩٧ ابن الإقللى  
٩٨ الصاحب ابن عباد  
١٠٢ أبو بكر الخوارزمى  
١٠٤ العميدى — صاحب الإبانة عن  
سرفات المتنبي  
١٠٥ ابن وكيع  
١٠٧ الخطيب التبريزى  
١١١ العسكرى  
١١٢ ابن الشجرى  
١١٦ القاضى الجرجانى  
١٢٦ أبو العلاء الممرى

### قافية الهزرة

- ١٢٩ القلب أعلم يا عدول بدائه  
١٣٤ عدل العواذل حول قلب انتائه  
١٣٨ أتسكر يا ابن إسحاق إخائى  
١٤٠ أمن ازديارك فى الدجى الرقاء

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب  
 ٢٦٣ ألم ترأيها الملك المرحى... السحاب  
 ٢٦٤ يا ذا المعالي ومعدن الأدب  
 ٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا  
 ٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما . الأدبا  
 ٢٧٣ تعرض لى السحاب وقد قفلنا . السحابا  
 ٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه . . . طيبا  
 ٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقله . . . أعجب  
 ٢٧٤ أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب  
 ٢٨٨ من الجآذر فى رى الأرعاب  
 ٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب  
 ٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب  
 ٣٢٨ لقد أصبح الجرد المستفير . المطف  
 ٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه  
 ٣٣٥ آخر ما الملك معزى به  
 ٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب  
 ٣٤٢ لحا الله وردانا وأما أنت به . ثعلب

قافية التاء

- ٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم هم . ليت

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألقاها تركت بها مكبوتا  
 ٣٤٦ فذلك الخيل وهى مسومات  
 ٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

- ٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح  
 ٣٦٤ أنا عين السود الجحجاح  
 ٣٦٥ جلا كما بى فليك التبريح  
 ٣٨٠ جارية ما لجسمها روح  
 ٣٨٠ يقاتانى عليك الليل جدا . السلاح  
 ٣٨١ أباعث كل مكreme طموح  
 ٣٨٢ وطائرة تتبعها الناي ... الجناح

قافية الدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود  
 ٣٩٠ عواذل ذات الخال فى حواسد